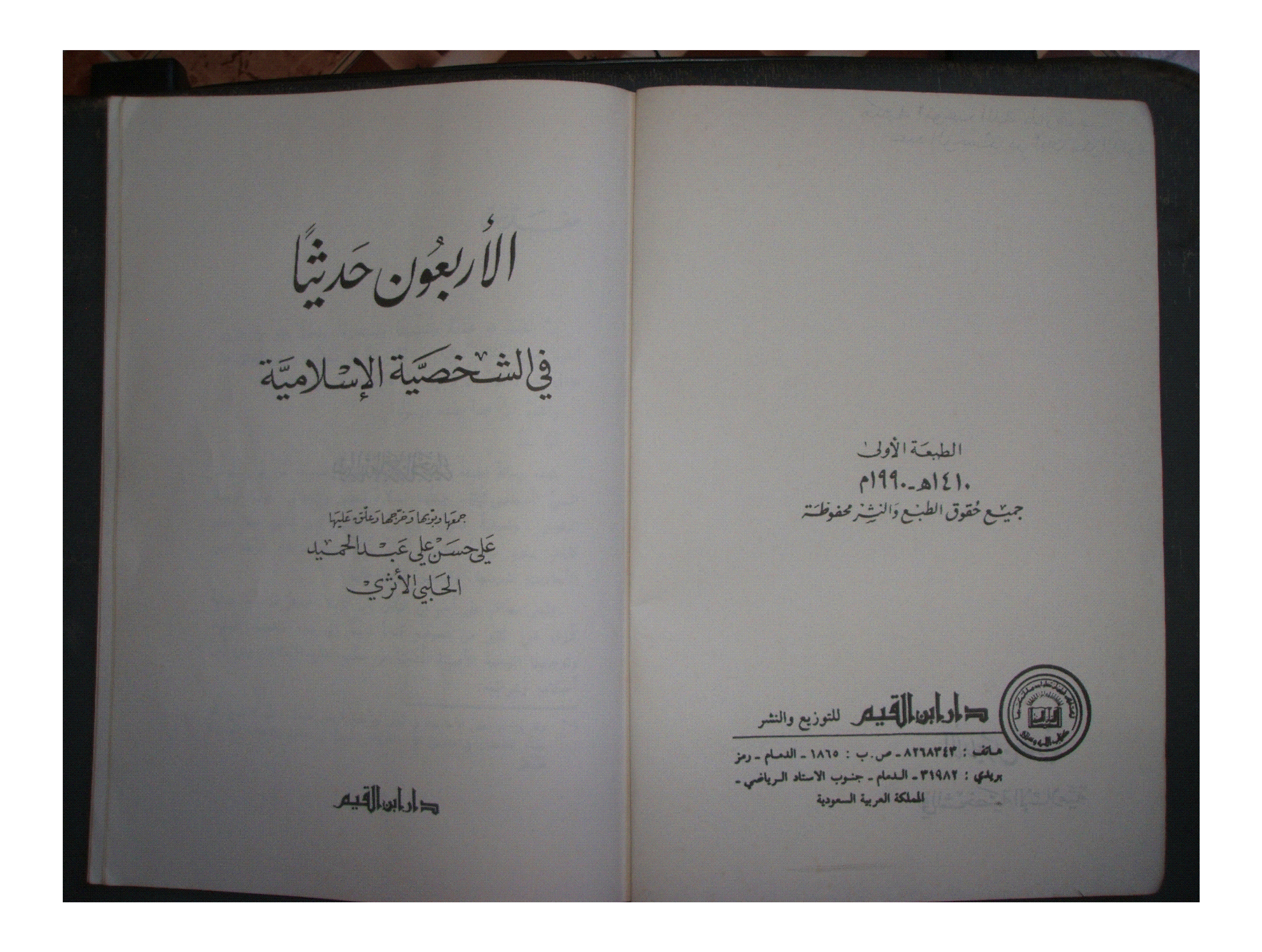
جمعها ودونها وخرجها وعلق عليها
علي حسن علي عبد الحميد
الحلبي الأثري



دار ابن القيم



الأربعون حديثًا

في الشخصية الإسلامية

جمعها ودونها وخرجها وعلق عليها

علي حسن علي عبد الحميد

الحلبي الأثري

دار ابن القيم

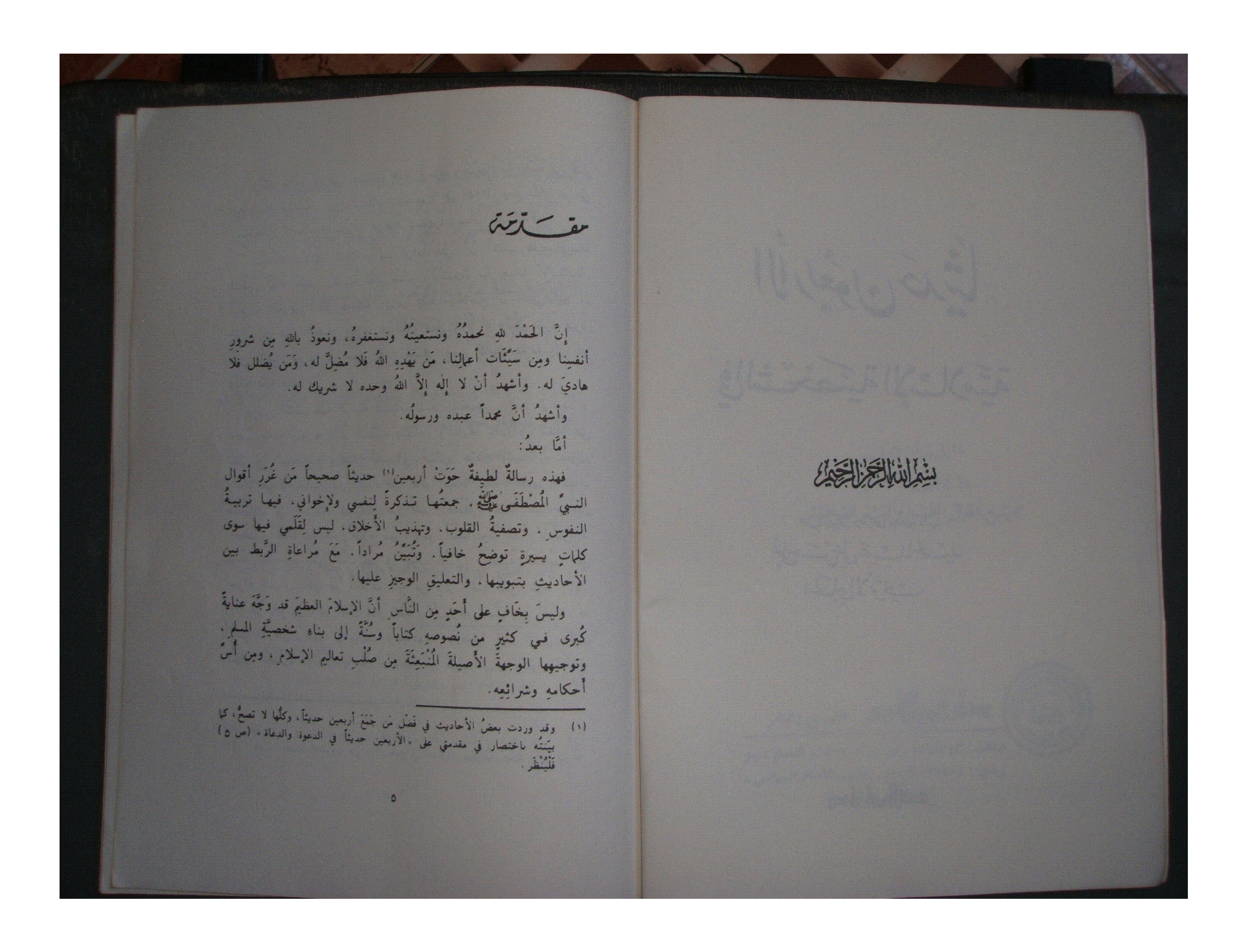
الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

دار ابن القيم للتوزيع والنشر

هاتف : ٨٢٦٨٣٤٣ - ص.ب : ١٨٦٥ - الدمام - رمز بريدي : ٣١٩٨٢ - الدمام - جنوب الاستاد الرياضي -

المملكة العربية السعودية



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحَمْدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ باللهِ مِن شرورِ أنفسِنا ومِن سَيِّئَات أعمالِنا، مَن يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ له، وَمَن يُضلل فلا هاديَ له. وأشهدُ أنْ لا إله إلاَّ اللهُ وحده لا شريك له.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسولُه.

أمَّا بعدُ:

فهذه رسالةٌ لطيفةٌ حَوَتْ أربعين(١) حديثاً صحيحاً مَن غُرَرِ أقوال النبيِّ المُصْطَفَى ﷺ، جمعتُها تذكرةً لِنفسي ولإخواني. فيها تربيةُ النفوسِ، وتصفيةُ القلوب، وتهذيبُ الأخلاق. ليس لِقَلَمي فيها سوى كلماتٍ يسيرةٍ توضحُ خافياً، وَتُبَيِّنُ مُراداً. مَعَ مُراعاةِ الرَّبط بين الأحاديثِ بتبويبها، والتعليقِ الوجيزِ عليها.

وليسَ بِخَافٍ على أَحَدٍ مِن النَّاسِ أنَّ الإسلامَ العظيمَ قد وَجَّهَ عنايةً كُبرى في كثيرٍ من نُصوصهِ كتاباً وسُنَّةً إلى بناءِ شخصيَّةِ المسلمِ، وتوجيهها الوجهةَ الأصيلةَ المُنْبَعِثَةَ مِن صُلْبِ تعاليم الإسلامِ، ومِن أُسِّ أحكامهِ وشرائعِه.

---

(١) وقد وردت بعضُ الأحاديث في فَضْل مَن جَمَعَ أربعين حديثاً، وكلُّها لا تصحُّ، كما بيَّنتُه باختصار في مقدمتي على «الأربعين حديثاً في الدعوة والدعاة» (ص ٥) فَلْيُنْظَر.

وأكبرُ دافعٍ لي على تصنيف هذه الرسالةِ وجَمْعِها: ما رَأَيْتُهُ مِنْ كَثيرٍ مِنَ الذين ينتسِبون إلى الإِسْلامِ، وَيدْعُونَ إلى اللهِ(!)، ومَعَ ذلك هم عن الشخصيةِ الإسلاميةِ بِمَعْزِلٍ جَوْهراً ومَظْهراً، نسألُ اللهَ العافيةَ.

فَلَمَّا كان ذلك كذلك رأيتُ لِزاماً عَلَيَّ أَنْ أكتبَ هذه الرسالةَ لِتكُونَ نُواةً مَتِينَةً رَصِينةً لِكُلِّ مُسْلِمٍ، يَبْتدِئُ بها حياته الإسلامية، ليعرفَ الطريقَ الحَقَّ فَيَتَّبِعَه ويدعُوَ إليه، وبِخاصَّةٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قد أشارَ إلى هذه الحقيقةِ بقولِهِ: «لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ[1]، ولِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فمن كانت فترتُه إلى سُنَّتي فقد اهْتدى، ومَن كانت فترتُه إلى غير ذلك فقد هلك»[2].

وإِنَّني أكتبُ هذه الرسالَةَ للشَّبابِ المُسلِمِ المُتَحَمِّسِ، الذي لم يَجِدْ في خِضَمِّ حماسِهِ وثورتِهِ اليَدَ العليمةَ بالداءِ، والعارفةَ بالدواءِ، لِتَدُلَّهُ على المنهجِ الصحيحِ والفكرِ الصافي، فيكونَ هؤلاءِ الشبابُ بعقولهم وأفكارِهم كأصحابِ النَّبِيِّ ﷺ، فقد كانوا شباباً أيضاً، لكنَّهم «شبابٌ مُكْتَهِلُونَ في شبابِهم، غَضِيضَةٌ عن الشَّرِّ أَعْيُنُهُمْ، ثقيلةٌ عن الباطِلِ أرجلُهم، أَنْضَاءُ عِبادَةٍ، وأَطلاحُ سَهَرٍ، باعُوا أَنْفُساً تموتُ غداً، بِأَنْفُسٍ لا تموتُ أبداً، قد نَظَرَ اللهُ إليهم في جَوْفِ اللَّيْلِ، مُنْحَنِيَةً أصلابُهم على أجزاءِ القُرآنِ، كُلَّما مَرَّ أَحَدُهُم بآيَةٍ مِن ذِكرِ الجَنَّةِ بكى شَوْقاً إليها، وإذا مَرَّ بِآيَةٍ مِن ذِكرِ النارِ شَهَقَ شَهْقَةً، كأَنَّ زفيرَ جهنَّمَ بين أُذُنَيْهِ، قد أَكَلَتِ الأَرضُ رُكَبَهُم، وأَيْدِيَهم، وجِباهَهُم، وَوَصَلُوا كَلالَ الليلِ بِكَلالِ النَّهارِ، مُصْفَرَّةً أَلوانُهُمْ، ناحِلَةً أَجْسامُهُمْ مِن طولِ القِيامِ وكثرةِ الصِّيامِ،

(١) نشاط.
(٢) هو الحديثُ العشرون من «الأربعين في الدعوة» وتخريجُه هناك وكذا شرحُه.

مُسْتَقِلُّونَ لِذلك في جَنْبِ اللهِ، مُوفُونَ بعهدِ اللهِ، مُنْجِزُونَ لِوَعْدِ اللهِ»[1].

فَلْنَسْعَ - جميعاً - لأَنْ نكونَ مِثْلَهم، ونَتَشَبَّهَ بهم، فالأمرُ كما قِيلَ: «ما نَحْنُ فيمن مضى إلاَّ كَبَقْلٍ في أُصُولِ نَخْلٍ طِوالٍ»[2]، وكما قال ابنُ المبارك[3]:

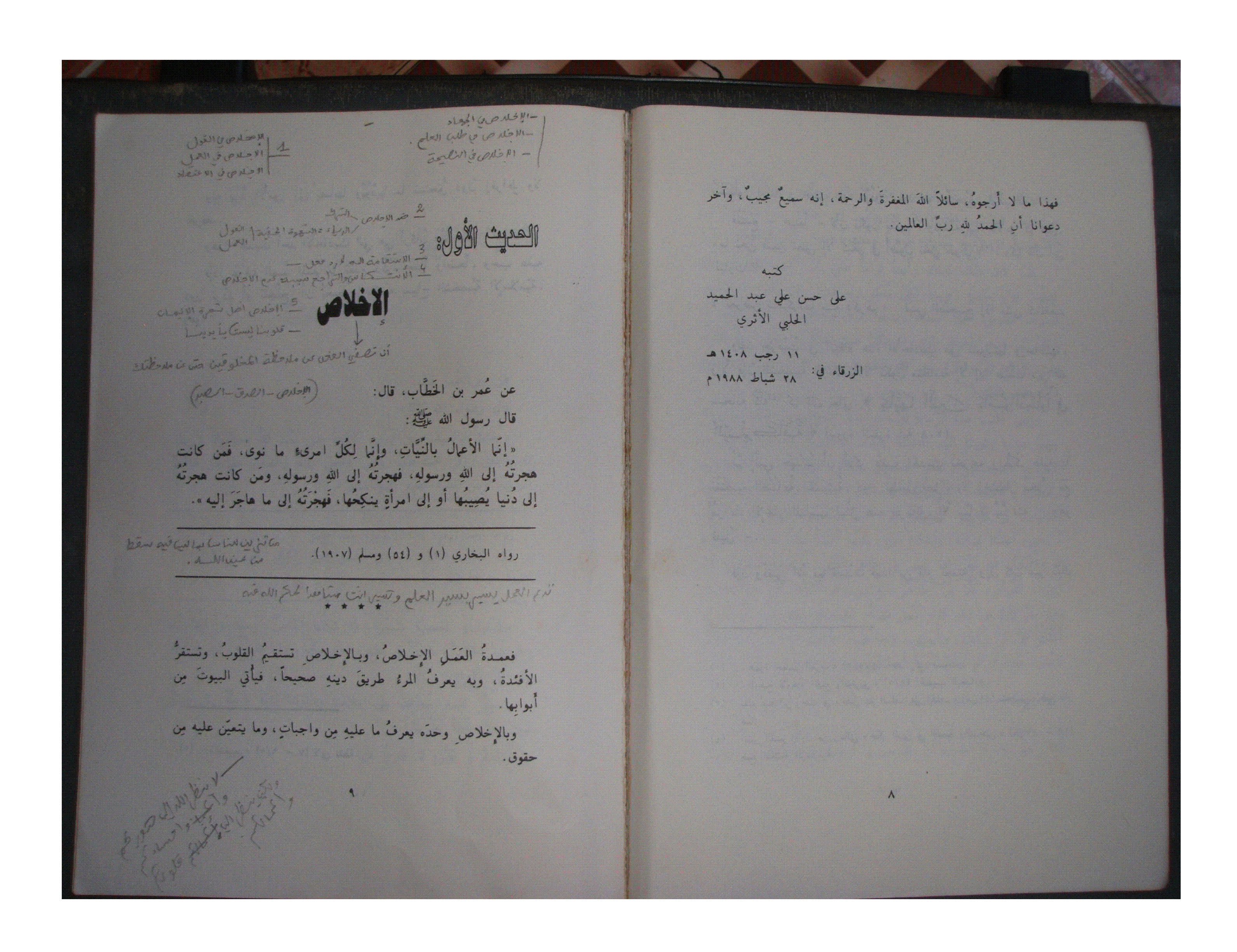
لا تَعْرِضَنَّ بِذِكْرِنا مَعَ ذِكْرِهِم ... لَيْسَ الصَّحيحُ إذا مَشى كالمُقْعَدِ

ولقد حَرَصْتُ في انْتِقاءِ هذه الأحاديثِ على شموليَّتِها وإحاطَتِها، وإلاَّ فإنَّ الشخصيةَ الإسلاميةَ لا تكونُ متكاملةً إلاَّ إذا طَبَّقَتْ دينَ اللهِ سبحانه كُلَّه[4] كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ (سورة البقرة آية ٢٠٨).

ثُمَّ إنَّني جَهِدْتُ أن أذكر عَقِبَ الحديثِ تَخْرِيجَه والحُكْمَ عليه بما تَقْتَضِيهِ الصِّناعةُ الحديثيَّةُ، دون تَطويلٍ مُمِلٍّ، ولا اختصارٍ مُخِلٍّ، مَعَ مُراعاةِ الإيجازِ المناسبِ لِمِثْلِ هذه الرسالةِ، إلاَّ مِمَّا لا بُدَّ منه - وهو قليلٌ -.

فإنْ وَفَّقَنِي اللهُ فيما قَصَدْتُ فهذا من تمامِ نعمتِه، وإن كان غَيْرَ ذلك

(١) «جمهرة خطب العرب» (٤٧٥/٢) أحمد زكي صفوت.
(٢) «الموضح لأوهام الجمع والتفريق» (٥/١) الخطيب البغدادي.
(٣) نقله عنه ابنُ رجب في «فضل علم السلف على الخلف» (ص٥٩) بتحقيقي، طبع دار عمّار.
(٤) انظر القسم الأول من رسالتي «حكم الدين في اللحية والتدخين» (ص١١ - ١٢) طبع المكتبة الإسلامية.



فهذا ما لا أرجوهُ، سائلاً اللهَ المغفرةَ والرحمة، إنه سميعٌ مجيبٌ، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

كتبه

على حسن علي عبد الحميد

الحلبي الأثري

الزرقاء في: ١١ رجب ١٤٠٨هـ

٢٨ شباط ١٩٨٨م

الحديث الأول:

الإخلاص

عن عُمر بن الخَطَّاب، قال:

قال رسول الله ﷺ:

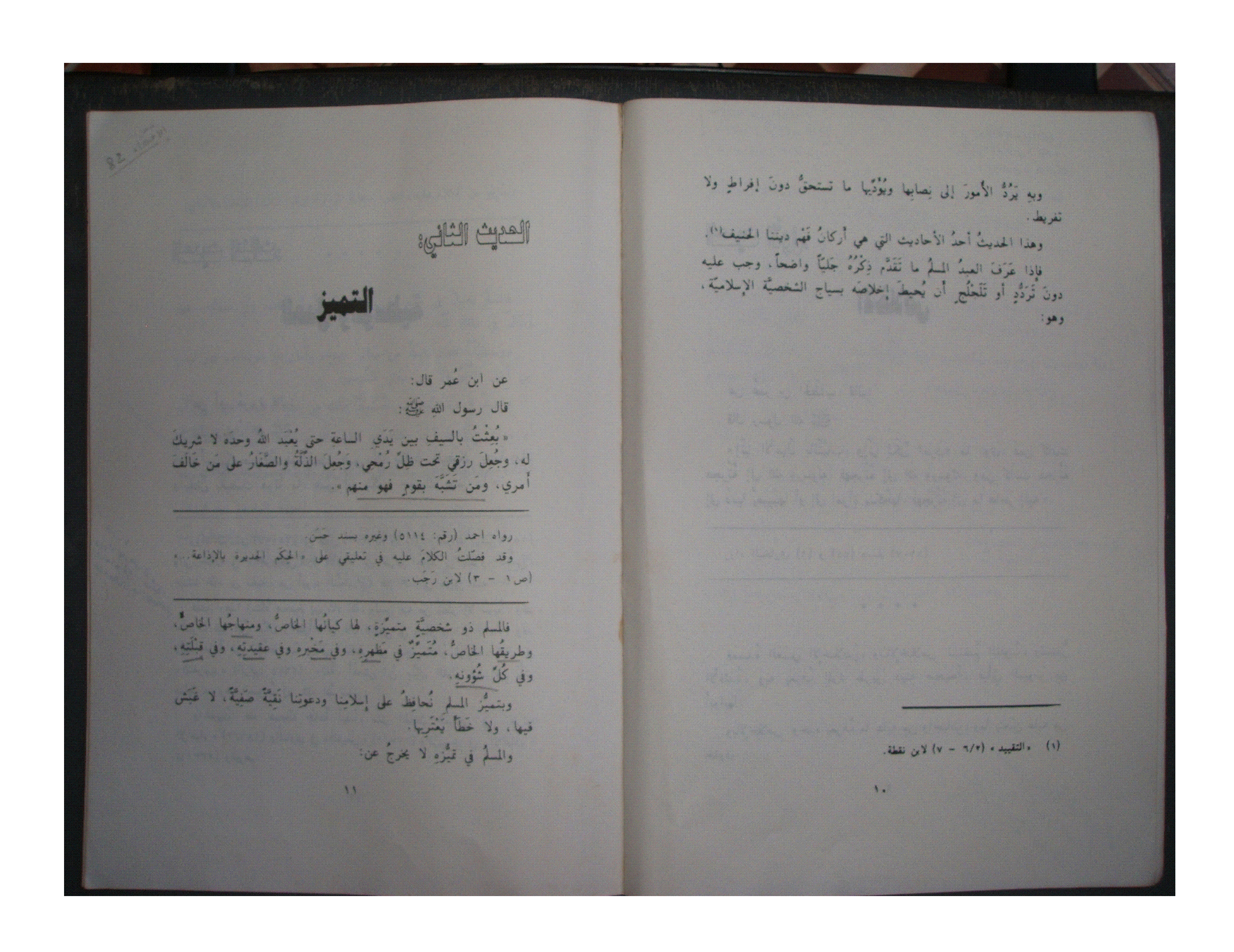
«إنّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّما لِكُلِّ امرىءٍ ما نوى، فَمَن كانت هجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ، فهجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ، ومَن كانت هجرتُهُ إلى دُنيا يُصِيبُها أو إلى امرأةٍ ينكِحُها، فَهجْرَتُهُ إلى ما هاجَرَ إليه».

رواه البخاري (١) و (٥٤) ومسلم (١٩٠٧).

* * * *

فعمدةُ العَمَلِ الإخلاصُ، وبالإخلاصِ تستقيمُ القلوبُ، وتستقرُّ الأفئدةُ، وبه يعرفُ المرءُ طريقَ دينِهِ صحيحاً، فيأتي البيوتَ مِن أبوابِها.

وبالإخلاصِ وحدَه يعرفُ ما عليهِ مِن واجباتٍ، وما يتعيّن عليه مِن حقوق.



وبه يَرُدُّ الأمورَ إلى نِصابِها ويُؤدِّيها ما تستحقُّ دونَ إفراطٍ ولا تفريط.

وهذا الحديثُ أحدُ الأحاديث التي هي أركانُ فَهْم دينِنا الحنيف[1].

فإذا عرَفَ العبدُ المسلمُ ما تقدَّم ذِكْرُهُ جَليّاً واضحاً، وجب عليه دونَ تَرَدُّدٍ أو تَلَجْلُجٍ أن يُحيطَ إخلاصَه بسياج الشخصيَّة الإسلاميَّة، وهو:

(1) «التقييد» (٢/٦ – ٧) لابن نقطة.

الحديث الثاني:

التميز

عن ابن عُمر قال:

قال رسول الله ﷺ:

«بُعِثْتُ بالسيفِ بين يَدَيِ الساعةِ حتى يُعْبَدَ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وجُعِلَ رزقي تحت ظِلِّ رُمْحي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ والصَّغارُ على مَن خالَفَ أمري، ومَن تَشَبَّهَ بقومٍ فهو منهم».

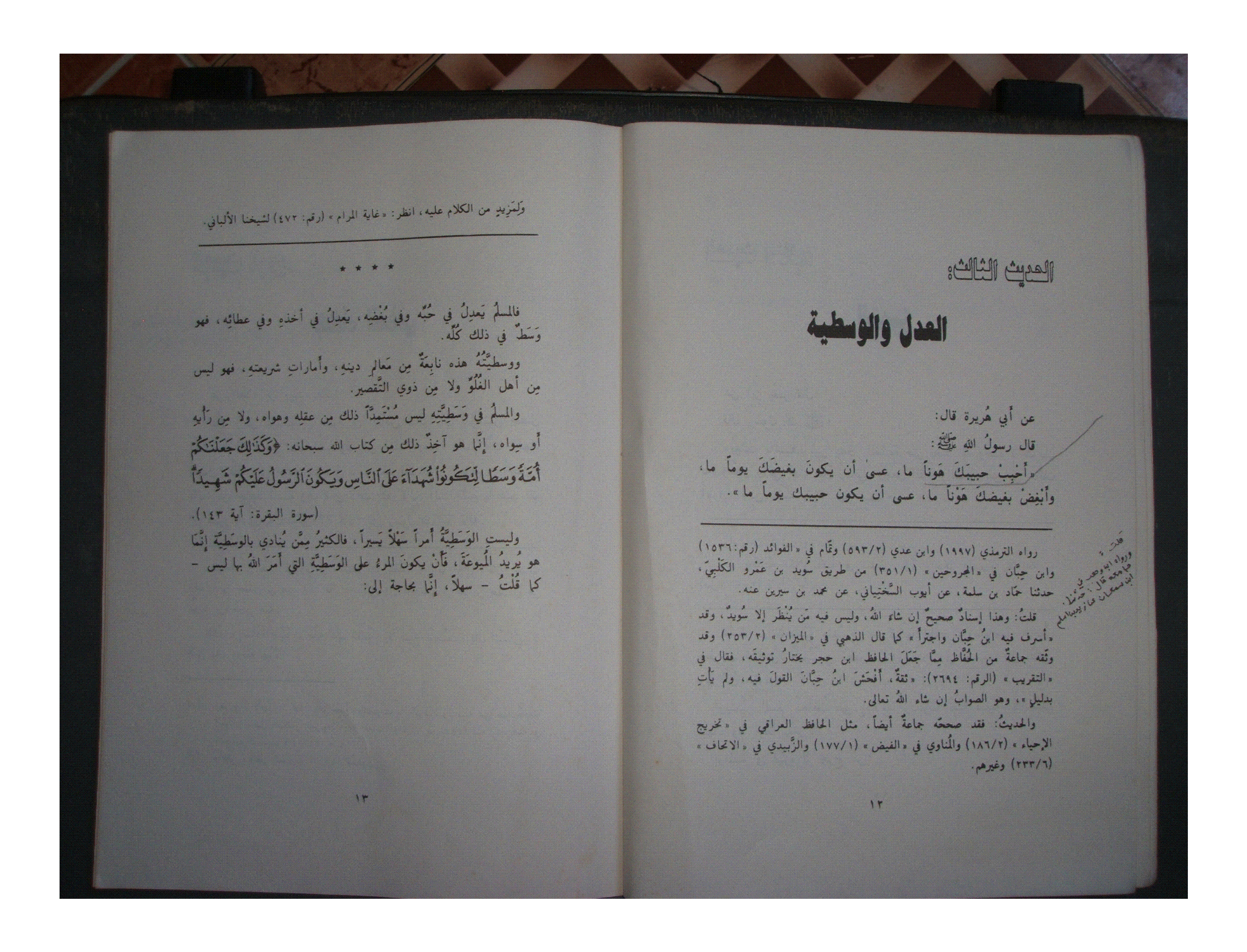
رواه احمد (رقم: ٥١١٤) وغيره بسند حسَن.

وقد فصّلتُ الكلامَ عليه في تعليقي على «الحِكَم الجديرة بالإذاعة...» (ص١ – ٣) لابن رَجَب.

فالمسلم ذو شخصيَّةٍ متميِّزةٍ، لها كيانُها الخاصُّ، ومنهاجُها الخاصُّ، وطريقُها الخاصُّ، مُتَميِّزٌ في مَظهرِهِ، وفي مَخْبَرِه وفي عقيدتِه، وفي قِبْلَتِه، وفي كُلِّ شُؤونِه.

وبتميُّزِ المسلم نُحافِظُ على إسلامِنا ودعوتِنا نَقِيَّةً صَفِيَّةً، لا غَبَش فيها، ولا خطأَ يَعْتَريها.

والمسلمُ في تميُّزِهِ لا يخرجُ عن:



الحديث الثالث:

العدل والوسطية

عن أبي هُريرة قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«أحْبِبْ حبيبَكَ هَوناً ما، عسىٰ أن يكونَ بغيضَكَ يوماً ما، وأبْغِضْ بغيضكَ هَوْناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما».

رواه الترمذي (١٩٩٧) وابن عدي (٢/٥٩٣) وتمّام في «الفوائد (رقم: ١٥٣٦) وابن حِبَّان في «المجروحين» (١/٣٥١) من طريق سُويد بن عَمْرو الكَلْبِيّ، حدثنا حمّاد بن سلمة، عن أيوب السَّخْتِياني، عن محمد بن سيرين عنه.

قلتُ: وهذا إسنادٌ صحيحٌ إن شاء اللهُ، وليس فيه مَن يُنْظَر إلا سُويدٌ، وقد «أسرف فيه ابنُ حِبَّان واجترأ» كما قال الذهبي في «الميزان» (٢/٢٥٣) وقد وثّقه جماعةٌ من الحُفّاظ مِمَّا جَعَلَ الحافظ ابن حجر يختارُ توثيقَه، فقال في «التقريب» (الرقم: ٢٦٩٤): «ثقةٌ، أفْحَشَ ابنُ حِبَّانَ القولَ فيه، ولم يأتِ بدليلٍ»، وهو الصوابُ إن شاء اللهُ تعالى.

والحديثُ: فقد صححّه جماعةٌ أيضاً، مثل الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/١٨٦) والمُناوي في «الفيض» (١/١٧٧) والزَّبيدي في «الاتحاف» (٦/٢٣٣) وغيرهم.

ولِمَزِيدٍ من الكلام عليه، انظر: «غاية المرام» (رقم: ٤٧٢) لشيخنا الألباني.

---

* * * *

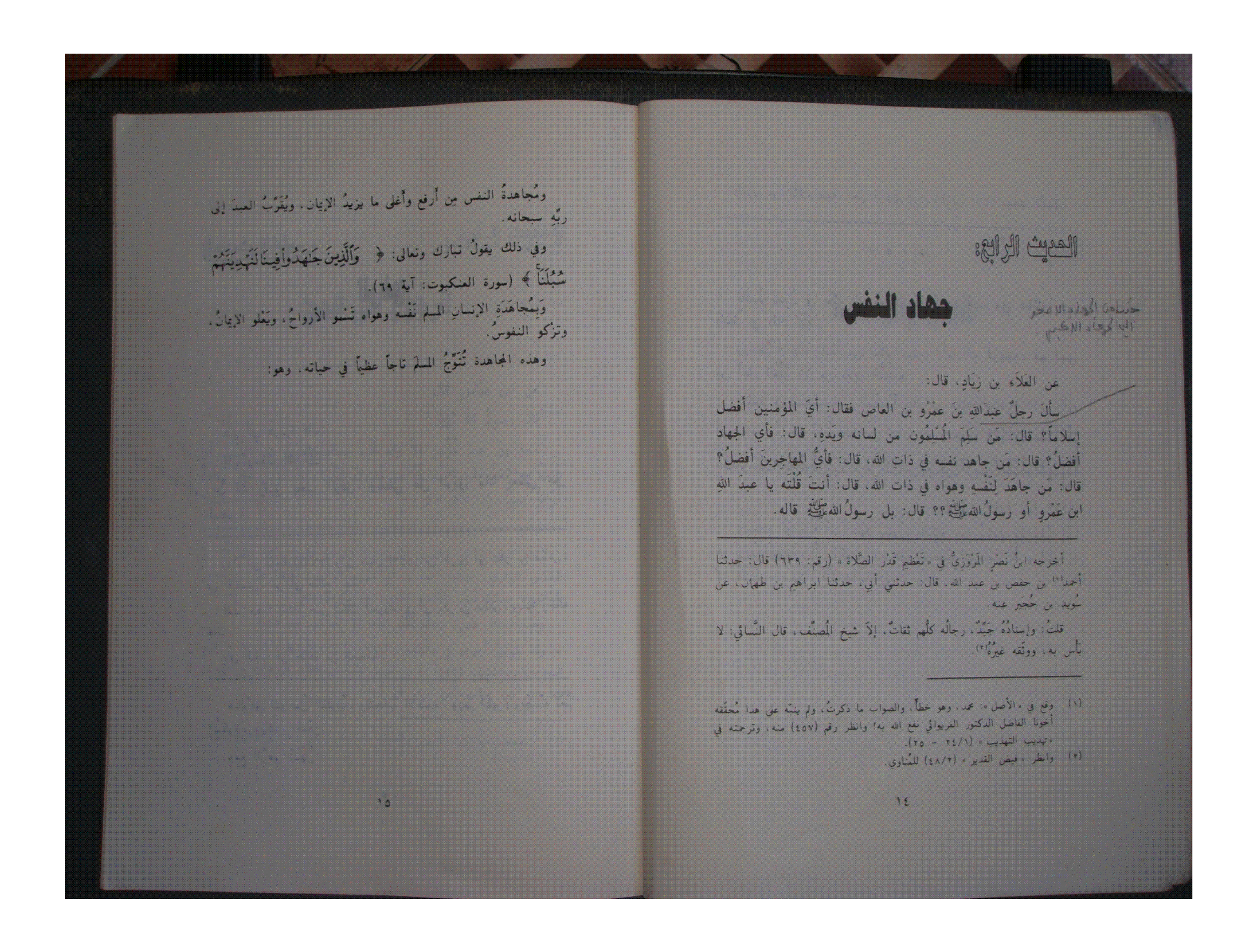
فالمسلمُ يَعدِلُ في حُبِّه وفي بُغْضِه، يَعدِلُ في أخذهِ وفي عطائِه، فهو وَسَطٌ في ذلك كُلِّه.

ووسطيَّتُهُ هذه نابِعَةٌ مِن مَعالِمِ دينِهِ، وأماراتِ شريعتهِ، فهو ليس مِن أهل الغُلُوِّ ولا مِن ذوي التَّقصير.

والمسلمُ في وَسَطِيَّتِهِ ليس مُسْتَمِدّاً ذلك مِن عقلِه وهواه، ولا مِن رأيِهِ أو سِواه، إنَّما هو آخِذٌ ذلك مِن كتاب الله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾

(سورة البقرة: آية ١٤٣).

وليستِ الوَسَطِيَّةُ أمراً سَهْلاً يَسيراً، فالكثيرُ مِمَّن يُنادي بالوَسَطِيَّة إنَّما هو يُريدُ المُيوعَةَ، فأَنْ يكونَ المرءُ على الوَسَطِيَّةِ التي أَمَرَ اللهُ بها ليس - كما قُلْتُ - سهلاً، إنَّما بحاجة إلى:



الحديث الرابع:

جهاد النفس

عن العَلاءِ بن زِيادٍ، قال:

سألَ رجلٌ عبدَاللهِ بنَ عمْرو بن العاص فقال: أيّ المؤمنين أفضل إسلاماً؟ قال: مَن سَلِمَ المُسْلِمُون من لسانه ويَدِهِ، قال: فأي الجهاد أفضلُ؟ قال: مَن جاهد نفسه في ذاتِ الله، قال: فأيُّ المهاجِرينَ أفضلُ؟ قال: مَن جاهَدَ لِنَفْسِهِ وهواه في ذات الله، قال: أنتَ قُلْتَه يا عبدَ اللهِ ابن عَمْرٍو أو رسولُ اللهِ ﷺ؟؟ قال: بل رسولُ اللهِ ﷺ قاله.

أخرجه ابنُ نَصْرٍ المَرْوَزيُّ في «تَعْظيمِ قَدْرِ الصَّلاة» (رقم: ٦٣٩) قال: حدثنا أحمد[1] بن حفص بن عبد الله. قال: حدثني أبي، حدثنا ابراهيم بن طهمان، عن سُويد بن حُجَير عنه.

قلتُ: وإسنادُهُ جَيّدٌ، رجالُه كلُّهم ثقاتٌ، إلاّ شيخ المُصنِّف، قال النَّسائي: لا بأس به، ووثّقه غيرُهُ[2].

---

(١) وقع في «الأصل»: محمد، وهو خطأٌ، والصواب ما ذكرتُ، ولم ينبّه على هذا مُحقّقه أخونا الفاضل الدكتور الفريوائي نفع الله به! وانظر رقم (٤٥٧) منه، وترجمته في «تهذيب التهذيب» (١/٢٤ - ٢٥).

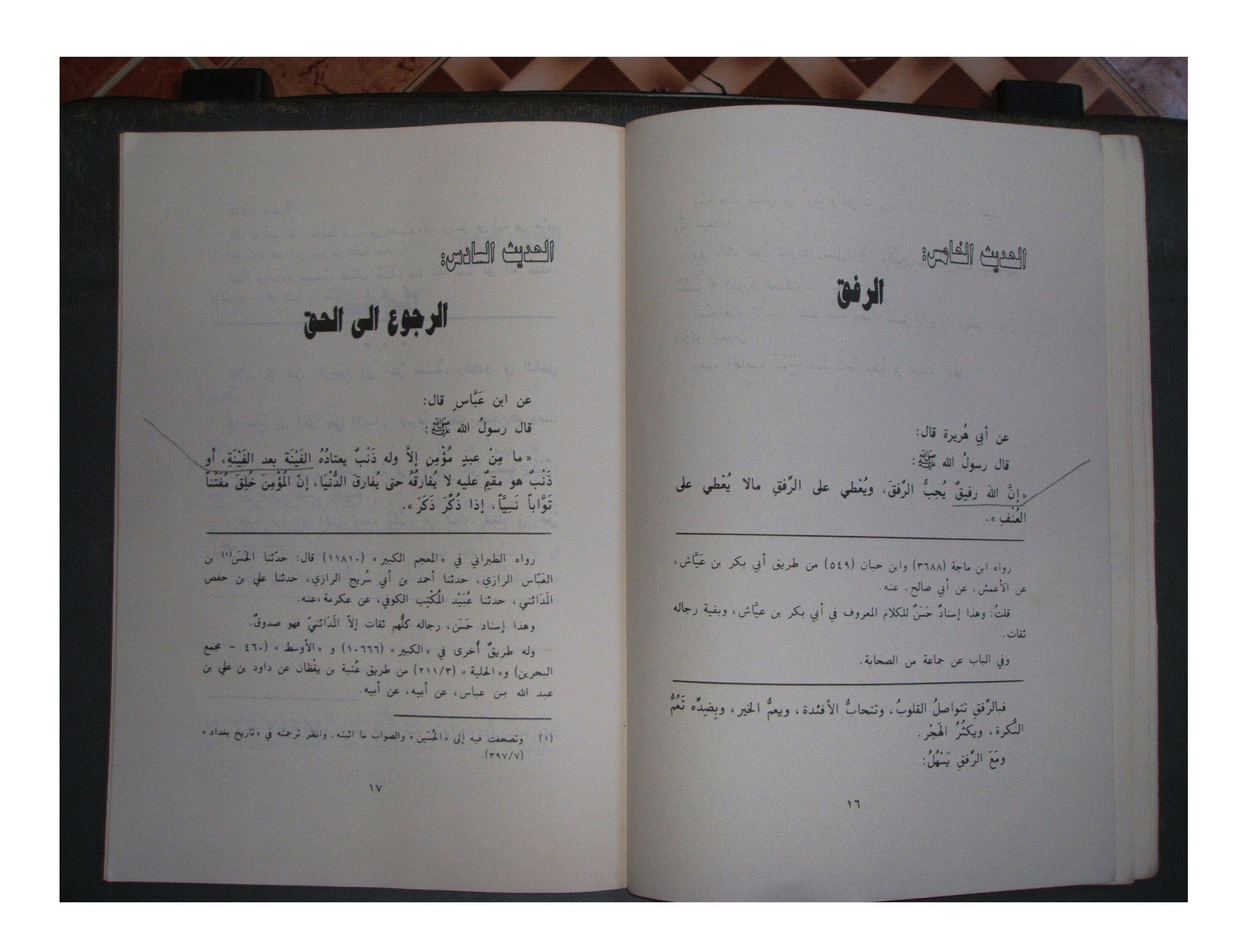
(٢) وانظر «فيض القدير» (٢/٤٨) للمُناوي.

ومُجاهدةُ النفس مِن أرفع وأغلى ما يزيدُ الإيمان، ويُقرّبُ العبدَ إلى ربّهِ سبحانه.

وفي ذلك يقولُ تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ (سورة العنكبوت: آية ٦٩).

وَبِمُجاهَدَةِ الإنسانِ المسلم نَفْسه وهواه تَسْمو الأرواحُ، ويَعْلو الإيمانُ، وتزكو النفوسُ.

وهذه المجاهدة تُتَوّجُ المسلمَ تاجاً عظيماً في حياته. وهو:



الحديث الخامس:

الرفق

عن أبي هُريرة قال:

قال رسولُ الله ﷺ:

«إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، ويُعْطي على الرِّفقِ مالا يُعْطي على العُنفِ».

رواه ابن ماجة (٣٦٨٨) وابن حبان (٥٤٩) من طريق أبي بكر بن عيَّاش، عن الأعمش، عن أبي صالح، عنه.

قلتُ: وهذا إسنادٌ حَسَنٌ للكلام المعروف في أبي بكر بن عيَّاش، وبقية رجاله ثقات.

وفي الباب عن جماعة من الصحابة.

فبالرِّفقِ تتواصلُ القلوبُ، وتتحابُّ الأفئدة، ويعمُّ الخير، وبِضِدِّه تَعُمُّ النُّكرة، ويكثُرُ الهَجْر.

ومَعَ الرِّفقِ يَسْهُلُ:

الحديث السادس:

الرجوع الى الحق

عن ابن عَبَّاسٍ قال:

قال رسولُ الله ﷺ:

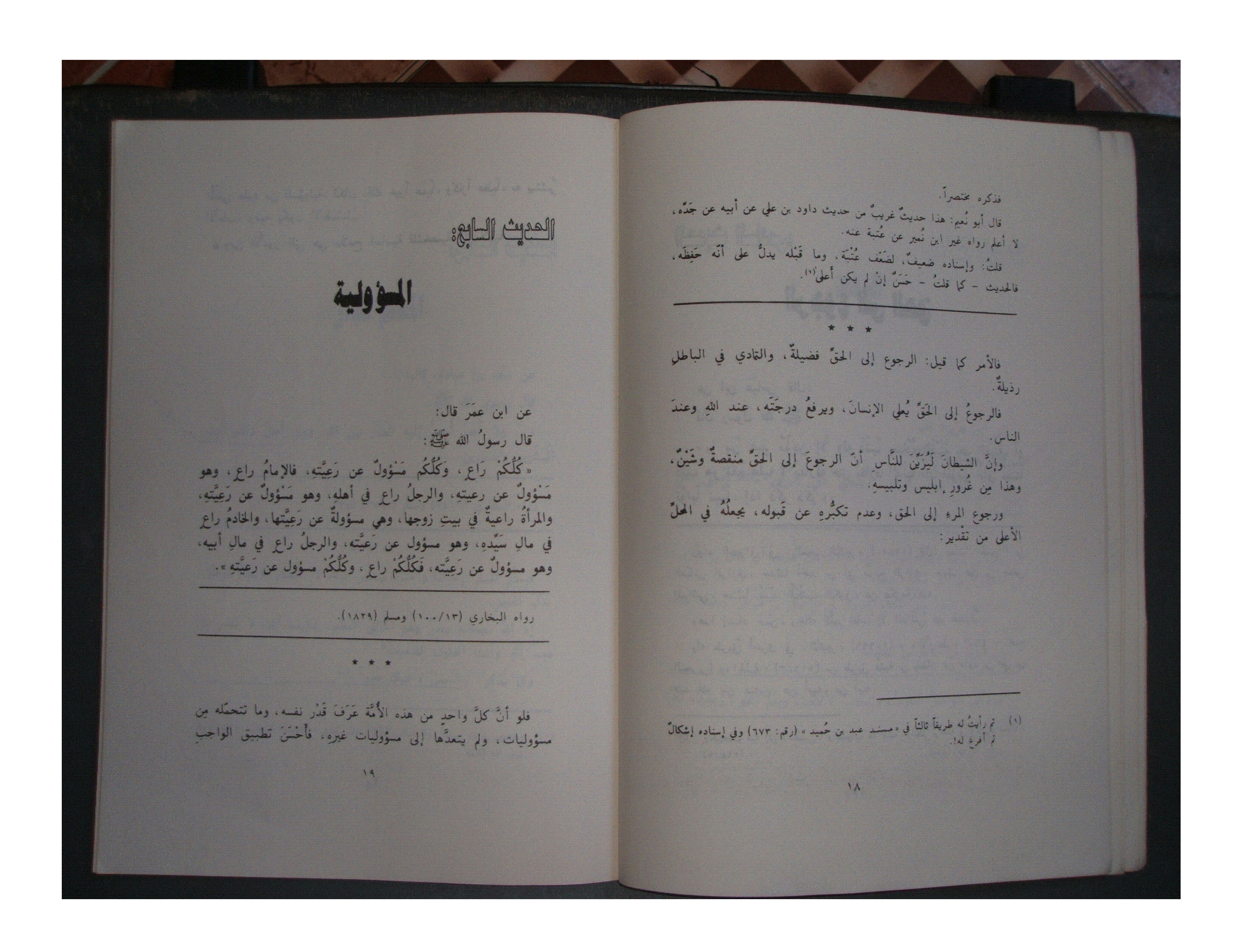
«ما مِنْ عبدٍ مُؤْمِنٍ إلاَّ وله ذَنْبٌ يعتادُهُ الفَيْنَةَ بعد الفَيْنَةِ، أو ذَنْبٌ هو مقيمٌ عليه لا يُفارقُهُ حتى يُفارقَ الدُّنْيا، إنَّ المُؤْمِنَ خُلِقَ مُفَتَّناً تَوَّاباً نَسِيًّا، إذا ذُكِّرَ ذَكَرَ».

رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٨١٠) قال: حدّثنا الحسَن[1] بن العَبّاس الرازي، حدثنا أحمد بن أبي سُريج الرازي، حدثنا علي بن حفص المَدائني، حدثنا عُبَيْد المُكْتِب الكوفي، عن عكرمة، عنه.

وهذا إسناد حَسَن، رجاله كلُّهم ثقات إلاَّ المَدائنيَّ فهو صدوقٌ.

وله طريقٌ أخرى في «الكبير» (١٠٦٦٦) و«الأوسط» (٤٦٠ - مجمع البحرين) و«الحلية» (٢١١/٣) من طريق عُتبة بن يقظان عن داود بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن أبيه.

(١) وتصحفت فيه إلى «الحُسَين»، والصواب ما اثبته. وانظر ترجمته في «تاريخ بغداد» (٣٩٧/٧).



فذكره مختصراً.

قال أبو نُعيم: هذا حديثٌ غريبٌ من حديث داود بن علي عن أبيه عن جَدِّه، لا أعلم رواه غير ابن نُمير عن عُتبة عنه.

قلتُ: وإسناده ضعيفٌ، لضَعف عُتْبَة. وما قَبْله يدلُّ على أنّه حَفِظَه.

فالحديث - كما قلتُ - حَسَنٌ إنْ لم يكن أعلى[1].

* * *

فالأمر كما قيل: الرجوع إلى الحقِّ فضيلةٌ، والتمادي في الباطل رذيلةٌ.

فالرجوعُ إلى الحَقِّ يُعلي الإنسانَ، ويرفعُ درجَتَه، عند اللهِ وعندَ الناس.

وإنَّ الشيطانَ لَيُزَيِّنَ للنّاسِ أنّ الرجوعَ إلى الحقِّ منقصةٌ وشَيْنٌ، وهذا مِن غُرورِ إبليس وتلبيسه.

ورجوع المرءِ إلى الحق، وعدم تكبُّرِهِ عن قَبوله، يجعلُهُ في المحلِّ الأعلى من تقدير:

(1) ثم رأيتُ له طريقاً ثالثاً في «مسند عبد بن حُميد» (رقم: ٦٧٣) وفي إسناده إشكالٌ لم أفرغ له!.

الحديث السابع:

المسؤولية

عن ابن عمرَ قال:

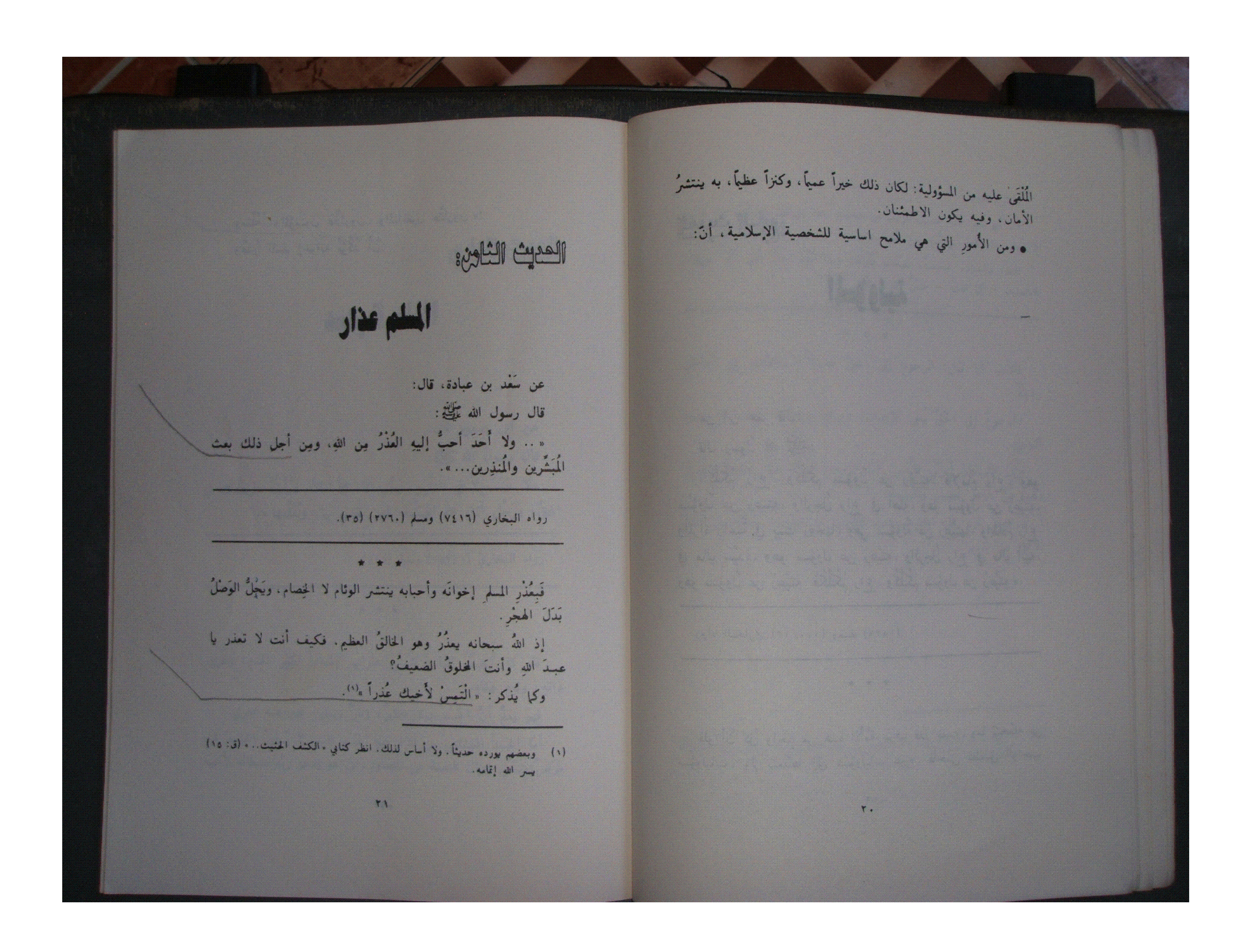
قال رسولُ الله ﷺ:

«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكم مَسْؤولٌ عن رَعِيَّتِه، فالإمامُ راعٍ، وهو مَسْؤولٌ عن رعيتِهِ، والرجلُ راعٍ في أهلِهِ، وهو مَسْؤولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجها، وهي مسؤولةٌ عن رَعِيَّتها، والخادمُ راعٍ في مالِ سَيِّدِهِ، وهو مسؤول عن رَعِيَّته، والرجلُ راعٍ في مالِ أبيه، وهو مسؤولٌ عن رَعِيَّته، فَكُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مسؤول عن رَعِيَّتِهِ».

رواه البخاري (١٣/١٠٠) ومسلم (١٨٢٩).

* * *

فلو أنَّ كلَّ واحدٍ من هذه الأُمّة عَرَفَ قَدْرَ نفسه، وما تتحمّله مِن مسؤوليات، ولم يتعدَّها إلى مسؤوليات غيرِه، فأحْسَنَ تطبيق الواجبِ



المُلقَى عليه من المسؤولية: لكان ذلك خيراً عميماً، وكنزاً عظيماً، به ينتشرُ الأمان، وفيه يكون الاطمئنان.

• ومن الأمورِ التي هي ملامح اساسية للشخصية الإسلامية، أنّ:

الحديث الثامن:

المسلم عذار

عن سَعْد بن عبادة، قال:

قال رسول الله ﷺ:

« .. ولا أَحَدَ أحبُّ إليهِ العُذْرُ مِن اللهِ، ومِن أجلِ ذلك بعث المُبَشِّرين والمُنذِرين... ».

رواه البخاري (٧٤١٦) ومسلم (٢٧٦٠) (٣٥).

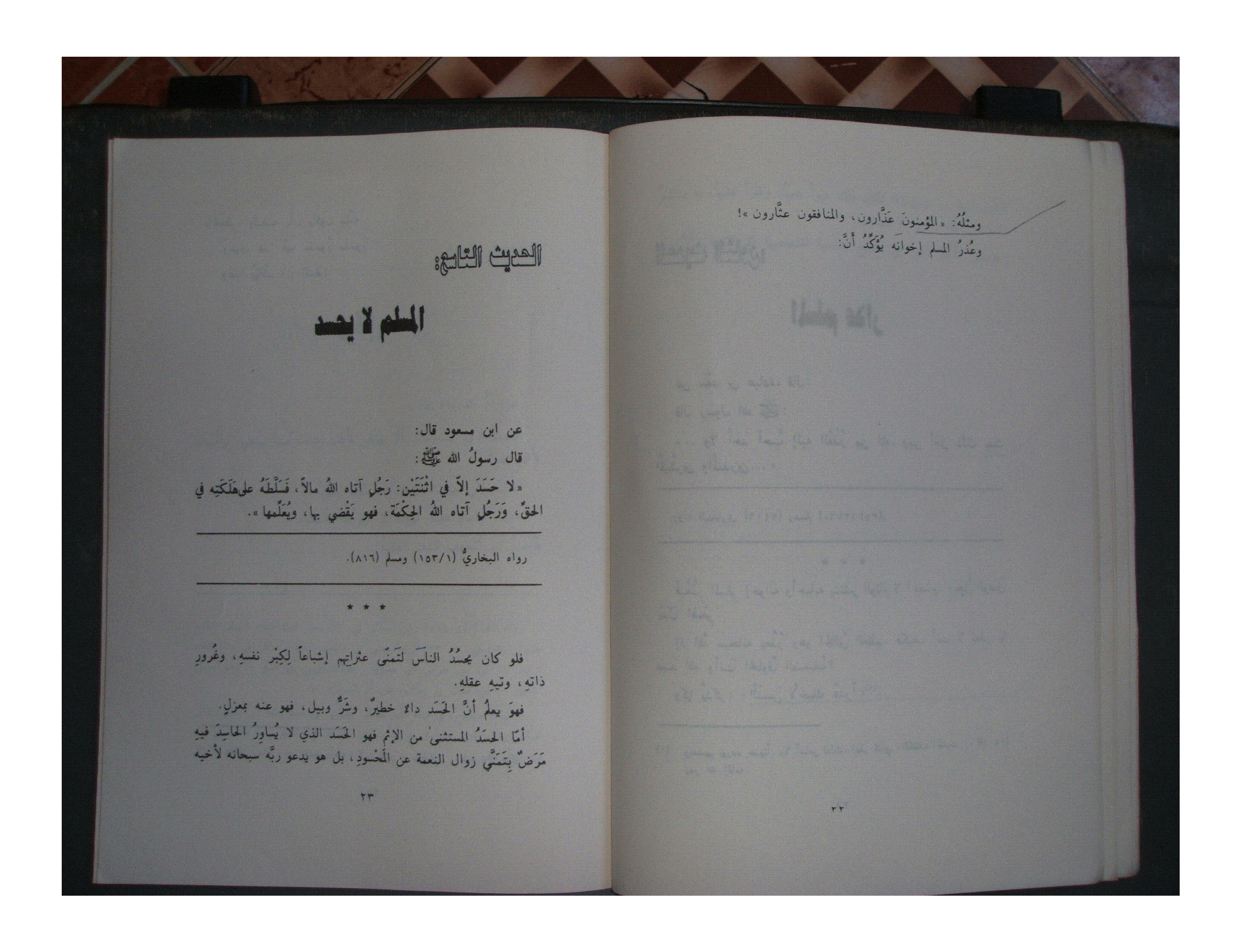
* * *

فَيعْذِرُ المسلِمِ إخوانَه وأحبابه ينتشر الوئام لا الخِصام، ويَحِلُّ الوَصْلُ بَدَلَ الهجْرِ.

إذ اللهُ سبحانه يعذُرُ وهو الخالقُ العظيم. فكيف أنت لا تعذر يا عبدَ اللهِ وأنتَ المخلوقُ الضعيفُ؟

وكما يُذكر: « التَمِسْ لأخيك عُذراً »[1].

(١) وبعضهم يورده حديثاً. ولا أساس لذلك. انظر كتابي «الكشف المثبت..» (ق: ١٥) يسر الله إتمامه.



ومثلُهُ: «المؤمنونَ عذّارون، والمنافقون عثّارون»!

وعُذرُ المسلم إخوانه يُؤكّدُ أنّ:

الحديث التاسع:

المسلم لا يحسد

عن ابن مسعود قال:

قال رسولُ الله ﷺ:

«لا حَسَدَ إلاّ في اثْنَتَيْن: رَجُلٍ آتاه اللهُ مالاً، فَسَلَّطَهُ على هَلَكَتِه في الحقّ، ورَجُلٍ آتاه اللهُ الحِكْمَةَ، فهو يَقْضي بها، ويُعَلِّمها».

رواه البخاريُّ (١/١٥٣) ومسلم (٨١٦).

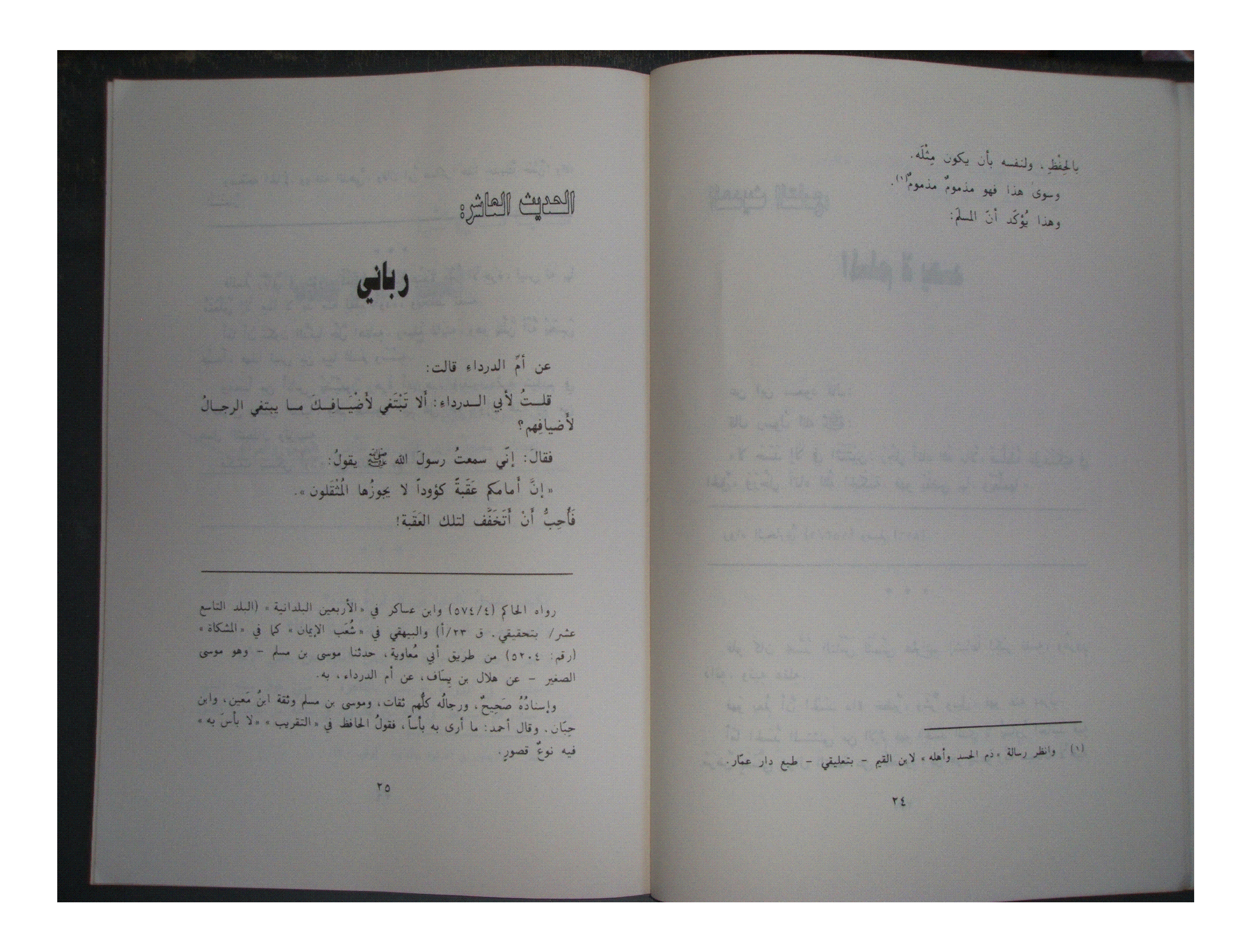
---

* * *

فلو كان يحسُدُ الناسَ لتمنّى عثراتِهم إشباعاً لِكِبْرِ نفسِه، وغُرورِ ذاتِه، وتيهِ عقلِه.

فهوَ يعلَمُ أنَّ الحَسَدَ داءٌ خطيرٌ، وشرٌّ وبيلٌ، فهو عنه بمعزِلٍ.

أمّا الحسدُ المستثنى من الإثم فهو الحَسَدُ الذي لا يُساوِرُ الحاسِدَ فيه مَرَضٌ بِتَمَنّي زوالِ النعمة عن المَحْسودِ، بل هو يدعو ربَّه سبحانه لأخيه



بالحِفْظِ. ولنفسه بأن يكون مِثْلَه.

وسوى هذا فهو مذمومٌ مذمومٌ[1].

وهذا يُؤكّد أنّ المسلمَ:

(١) وانظر رسالة «ذم الحسد وأهله» لابن القيم - بتعليقي - طبع دار عمّار.

الحديث العاشر

رباني

عن أمّ الدرداءِ قالت:

قلتُ لأبي الدرداءِ: ألا تَبْتَغي لأضْيافِكَ ما يبتغي الرجالُ لأضيافِهم؟

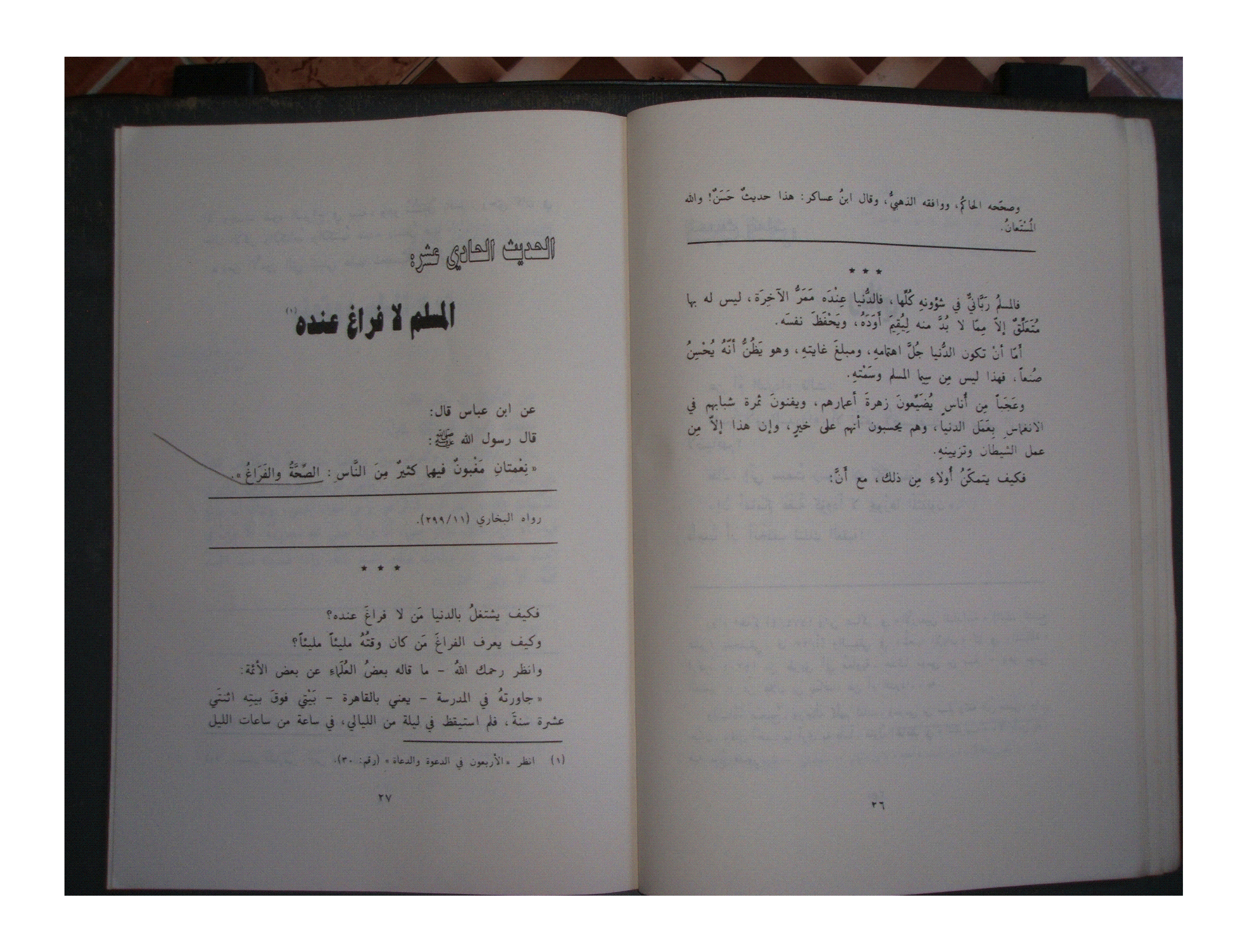
فقالَ: إنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ:

«إنَّ أمامكم عَقَبَةً كؤوداً لا يجوزُها المُثْقَلون».

فَأُحِبُّ أَنْ أَتَخَفَّف لتلك العَقَبة!

رواه الحاكم (٥٧٤/٤) وابن عساكر في «الأربعين البلدانية» (البلد التاسع عشر/ بتحقيقي. ق ٢٣/أ) والبيهقي في «شُعَب الإيمان» كما في «المشكاة» (رقم: ٥٢٠٤) من طريق أبي مُعاوية، حدثنا موسى بن مسلم - وهو موسى الصغير - عن هلال بن يِسَاف، عن أم الدرداء، به.

وإسنادُهُ صَحِيحٌ، ورجالُه كلُّهم ثقات، وموسى بن مسلم وثقة ابنُ مَعين، وابن حِبّان. وقال أحمد: ما أرى به بأساً، فقولُ الحافظ في «التقريب» «لا بأسَ به» فيه نوعُ قصورٍ.



وصحّحه الحاكمُ، ووافقه الذهبيُّ، وقال ابنُ عساكر: هذا حديثٌ حَسَنٌ! والله المُسْتَعانُ.

* * *

فالمسلمُ ربَّانيٌّ في شؤونِهِ كُلِّها، فالدُّنيا عِنْدَه مَمَرُّ الآخِرَة، ليس له بها مُتَعَلَّقٌ إلاّ مِمّا لا بُدَّ منه لِيُقِيمَ أَوَدَهُ، ويَحْفَظَ نفسَه.

أمّا أنْ تكون الدُّنيا جُلَّ اهتمامِهِ، ومبلغَ غايتِهِ، وهو يَظُنُّ أَنَّهُ يُحْسِنُ صُنْعاً، فهذا ليس مِن سِيما المسلم وسَمْتِهِ.

وعَجَباً مِن أُناسٍ يُضَيِّعونَ زهرةَ أعمارهم، ويفنونَ ثمرة شبابهم في الانغماسِ بِعَمَلِ الدنيا، وهم يحسبون أنهم على خيرٍ، وإن هذا إلاّ مِن عمل الشيطان وتزيينهِ.

فكيف يتمكّنُ أولاءِ مِن ذلك، مع أَنَّ:

الحديث الحادي عشر:

المسلم لا فراغ عنده[1]

عن ابن عباس قال:

قال رسول الله ﷺ:

«نِعمتانِ مَغْبونٌ فيهما كثيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ».

رواه البخاري (١١/٢٩٩).

* * *

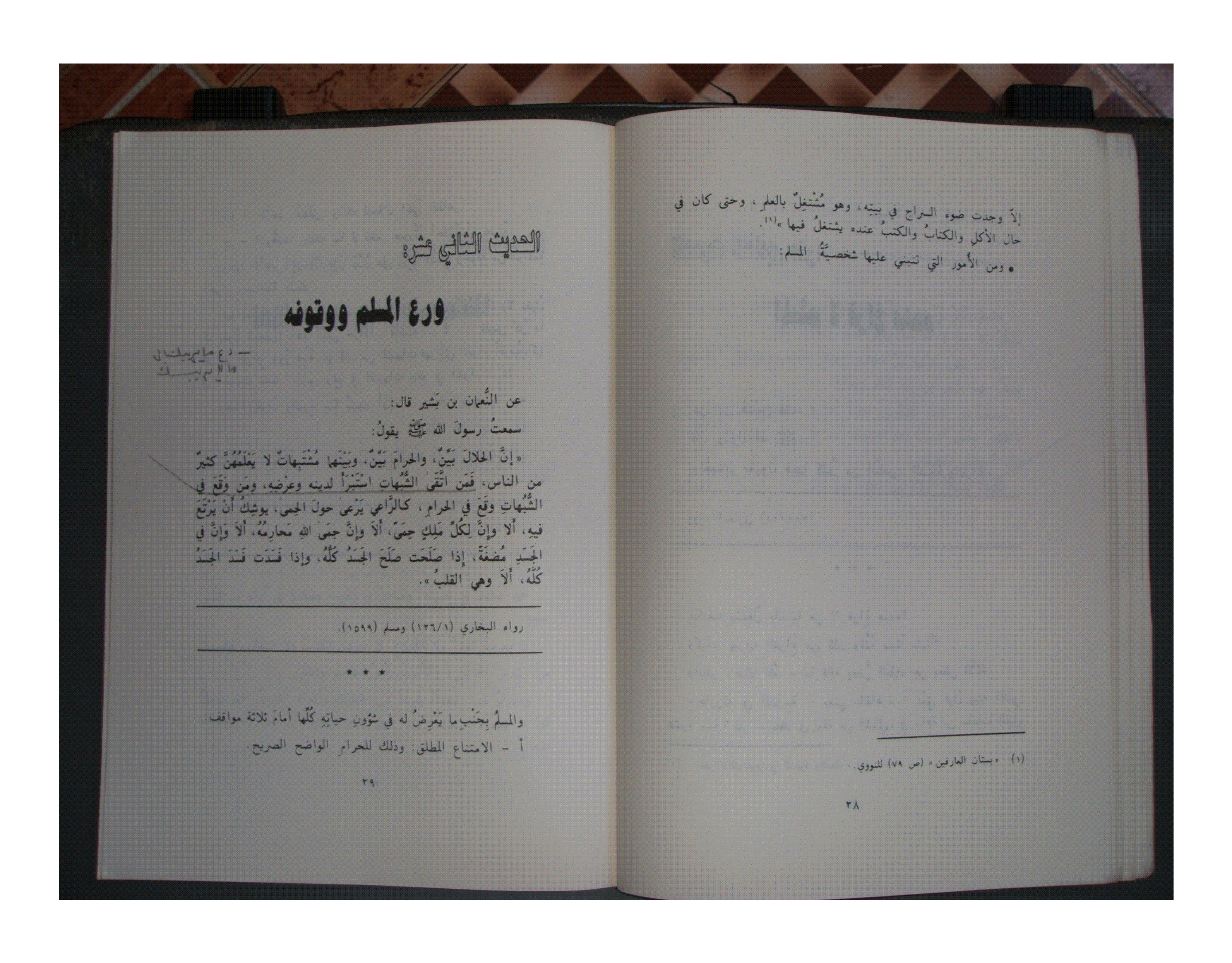
فكيف يشتغلُ بالدنيا مَن لا فراغَ عنده؟

وكيف يعرف الفراغَ مَن كان وقتُهُ مليئاً مليئاً؟

وانظر رحمك اللهُ - ما قاله بعضُ العُلَماءِ عن بعض الأئمة:

«جاورتُهُ في المدرسة - يعني بالقاهرة - بَيْتي فوقَ بيتِهِ اثنتَي عشرة سنةً، فلم استيقظ في ليلة من الليالي، في ساعة من ساعات الليل

(١) انظر «الأربعون في الدعوة والدعاة» (رقم: ٣٠).



إلاّ وجدت ضوء السراج في بيته، وهو مُشْتَغِلٌ بالعلم، وحتى كان في حال الأكلِ والكتابُ والكتبُ عنده يشتغلُ فيها »[1].

• ومن الأمور التي تنبني عليها شخصيَّةُ المسلم:

(1) «بستان العارفين» (ص ٧٩) للنووي.

الحديث الثاني عشر

ورع المسلم ووقوفه

عن النُّعمان بن بَشير قال:

سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ:

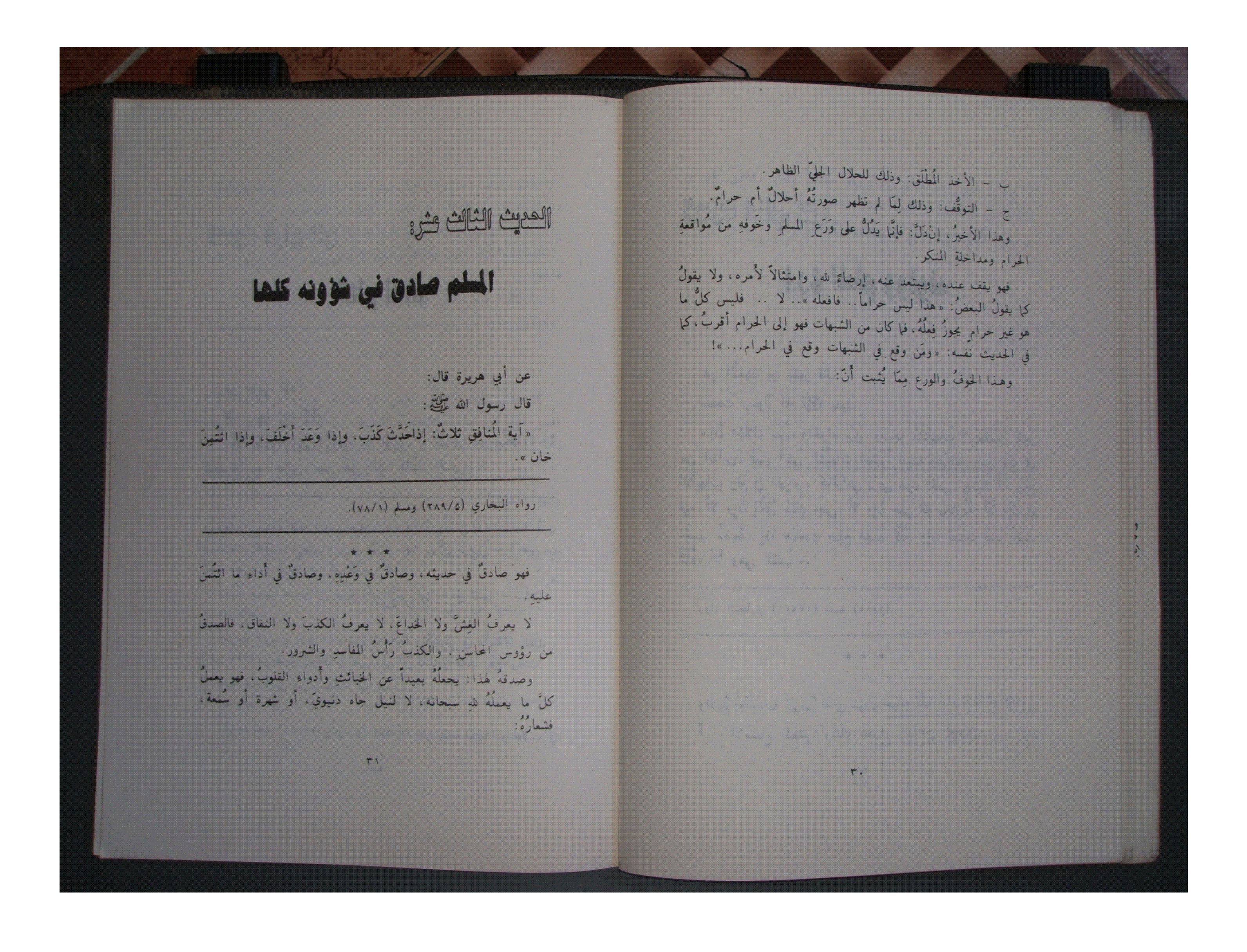
« إنَّ الحلالَ بَيِّنٌ، والحرامَ بيِّنٌ، وبَيْنَهما مُشْتَبِهاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كثيرٌ من الناس، فَمَن اتَّقَى الشُّبُهاتِ اسْتَبْرَأَ لدينه وعرضِه، ومَن وَقَعَ في الشُّبُهاتِ وقَعَ في الحرامِ، كالرَّاعي يَرْعَى حولَ الحِمى، يوشِكُ أنْ يَرْتَعَ فيهِ، ألا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمىً، ألاَ وإنَّ حِمَى اللهِ مَحارِمُهُ، ألا وَإنَّ في الجَسَدِ مُضغَةً، إذا صَلَحَت صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألاَ وهي القلبُ ».

رواه البخاري (١/١٢٦) ومسلم (١٥٩٩).

* * *

والمسلمُ بِحَسْبِ ما يَعْرِضُ له في شؤونِ حياتِهِ كُلِّها أمامَ ثلاثة مواقف:

أ - الامتناع المطلق: وذلك للحرام الواضح الصريح.



ب - الأخذ المُطلَق: وذلك للحلال الجليّ الظاهر.

ج - التوقُّف: وذلك لِمَا لم تظهر صورتُهُ أحلالٌ أم حرامٌ.

وهذا الأخيرُ، إنْ دلَّ: فإنّما يَدُلُّ على وَرَعِ المسلمِ وخوفِهِ من مُواقعةِ الحرام ومداخلةِ المنكر.

فهو يقف عنده، ويبتعد عنه، إرضاءً لله، وامتثالاً لأمره، ولا يقولُ كما يقولُ البعضُ: «هذا ليس حراماً.. فافعله».. لا .. فليس كلُّ ما هو غير حرامٍ يجوزُ فِعلُهُ، فما كان من الشبهات فهو إلى الحرام أقربُ، كما في الحديث نفسه: «ومَن وقع في الشبهات وقع في الحرام...»!

وهذا الخوفُ والورع مِمّا يُثبت أنّ:

الحديث الثالث عشر

المسلم صادق في شؤونه كلها

عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ:

«آيةُ المُنافِقِ ثلاثٌ: إذاحَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أخلَفَ، وإذا ائتُمِنَ خان».

رواه البخاري (٥/٢٨٩) ومسلم (١/٧٨).

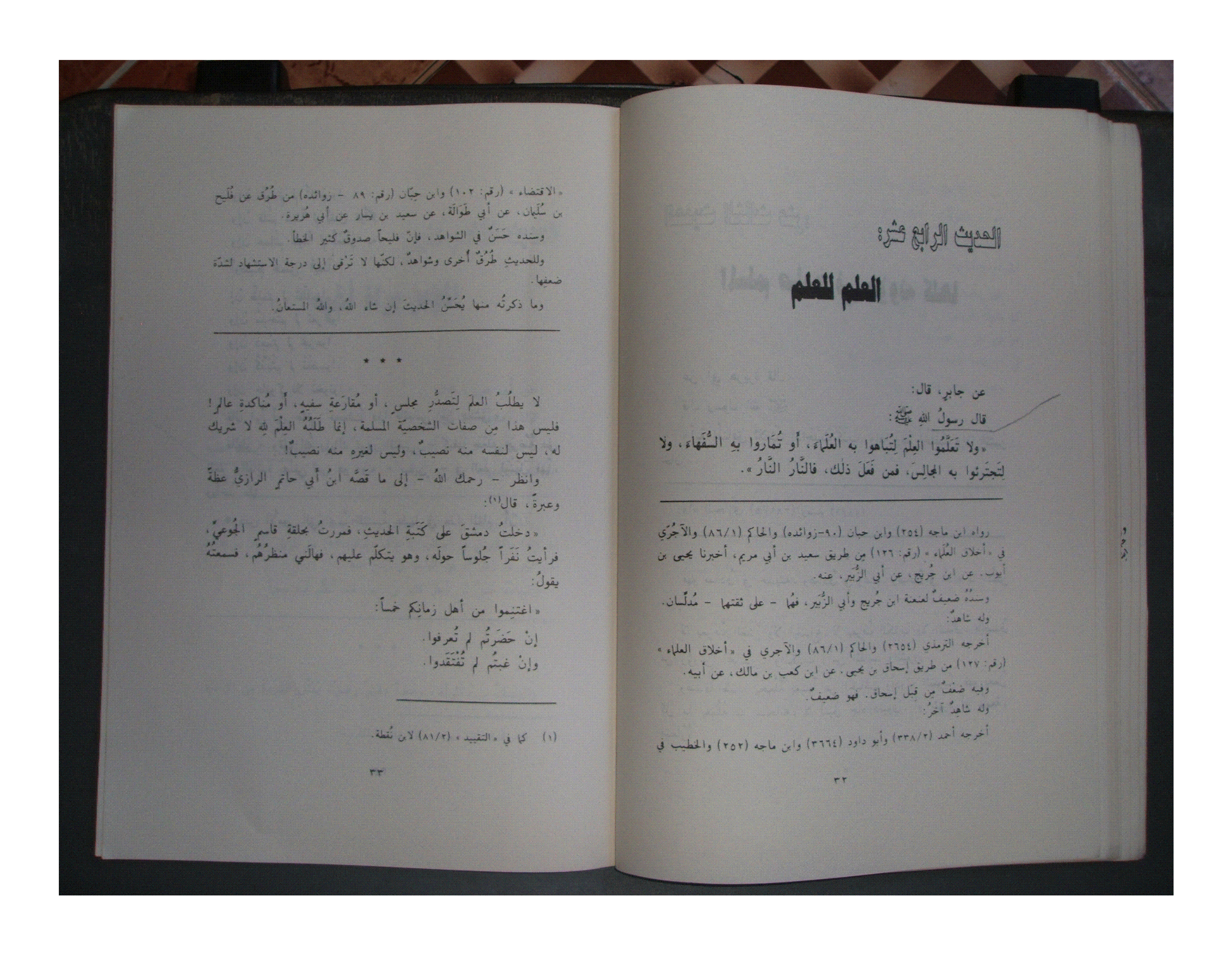
---

* * *

فهو صادقٌ في حديثه، وصادقٌ في وَعْدِهِ، وصادقٌ في أداءِ ما ائتُمِنَ عليهِ.

لا يعرفُ الغِشَّ ولا الخداعَ، لا يعرفُ الكذبَ ولا النفاق. فالصدقُ من رؤوس المحاسنِ. والكذبُ رأسُ المفاسدِ والشرور.

وصدقهُ هٰذا: يجعلُهُ بعيداً عن الخبائثِ وأدواءِ القلوبُ. فهو يعملُ كلَّ ما يعملُهُ للهِ سبحانه، لا لنيل جاه دنيويّ، أو شهرة أو سُمعة، فشعارُهُ:



الحديث الرابع عشر

العلم للعلم

عن جابرٍ، قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«ولا تَعَلَّمُوا العِلْمَ لِتُبَاهوا به العُلَماءَ، أو تُمَارُوا بِهِ السُّفَهاءَ، ولا لِتَجتَرِئوا به المجالِسَ، فمن فَعَلَ ذلك، فالنَّارُ النَّارُ».

رواه ابن ماجه (٢٥٤) وابن حبان (٩٠-زوائده) والحاكم (٨٦/١) والآجُرِّي في «أخلاق العُلَماء» (رقم: ١٢٦) مِن طريق سعيد بن أبي مريم، أخبرنا يحيى بن أيوب، عن ابن جُريج، عن أبي الزُّبير، عنه.

وسندُهُ ضعيفٌ لعنعنة ابن جُريج وأبي الزُّبَير، فهُما - على ثقتها - مُدلِّسان.

وله شاهدٌ:

أخرجه الترمذي (٢٦٥٤) والحاكم (٨٦/١) والآجري في «أخلاق العلماء» (رقم: ١٢٧) من طريق إسحاق بن يحيى، عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه.

وفيه ضعفٌ مِن قِبَل إسحاق، فهو ضعيفٌ.

وله شاهدٌ آخرُ:

أخرجه أحمد (٣٣٨/٢) وأبو داود (٣٦٦٤) وابن ماجه (٢٥٢) والخطيب في

«الاقتضاء» (رقم: ١٠٢) وابن حِبّان (رقم: ٨٩ - زوائده) من طُرُق عن فُلَيح بن سُلَيمان، عن أبي طُوَالَة، عن سعيد بن يسار عن أبي هُريرة.

وسنده حَسَنٌ في الشواهد، فإنّ فليحاً صدوقٌ كثير الخطأ.

وللحديثِ طُرُقٌ أخرى وشواهدٌ، لكنّها لا تَرْقى إلى درجة الاستشهاد لشدّة ضعفِها.

وما ذكرتُه منها يُحَسِّنُ الحديثَ إن شاء اللهُ، واللهُ المستعانُ.

---

* * *

لا يطلُبُ العلمَ لِتَصدُّرِ مجلسٍ، أو مُقارَعةِ سفيهٍ، أو مُناكدةِ عالمٍ! فليس هذا مِن صفات الشخصيّة المسلمة، إنما طَلَبُهُ العِلْمَ لِلهِ لا شريك له، ليس لنفسه منه نصيبٌ، وليس لغيرِه منه نصيبٌ!

وانظر - رحمك اللهُ - إلى ما قصَّه ابنُ أبي حاتمٍ الرازيُّ عظةً وعبرةً، قال[1]:

«دخلتُ دمشقَ على كَتَبةِ الحديثِ، فمررتُ بحلقةِ قاسمِ الجُوعيِّ، فرأيتُ نَفَراً جُلوساً حولَه، وهو يتكلّم عليهم، فهالَني منظرُهُم، فسمعتُهُ يقولُ:

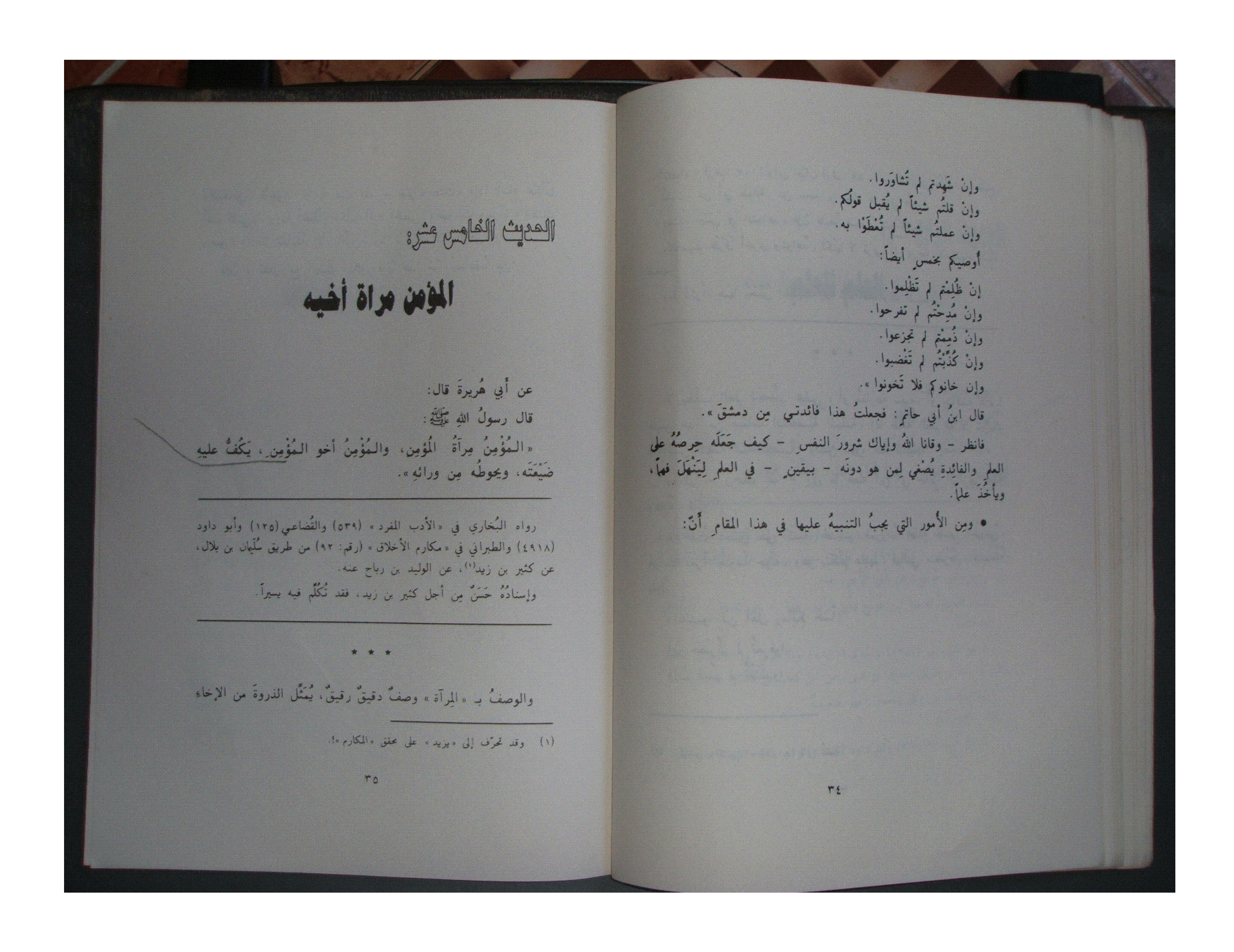
«اغتنِموا من أهل زمانِكم خمساً:

إنْ حَضَرتُم لم تُعرفوا.

وإنْ غِبتُم لم تُفْتَقَدوا.

---

(١) كما في «التقييد» (٨١/٢) لابن نُقطة.



وإنْ شَهدتم لم تُشاوَروا.

وإنْ قلتُم شيئاً لم يُقبل قولكم.

وإنْ عملتُم شيئاً لم تُعْطَوْا به.

أوصيكم بخمسٍ أيضاً:

إنْ ظُلِمتم لم تَظْلِموا.

وإنْ مُدِحتُم لم تفرحوا.

وإنْ ذُمِمتم لم تجزعوا.

وإنْ كُذِّبتُم لم تَغْضبوا.

وإن خانوكم فلا تَخونوا ».

قال ابنُ أبي حاتمٍ: فجعلتُ هذا فائدتي مِن دمشقَ ».

فانظر - وقانا اللهُ وإياك شرورَ النفسِ - كيف جَعَلَه حِرصُهُ على العلمِ والفائدةِ يُصْغي لِمن هو دونَه - بيقينٍ - في العلمِ لِيَنْهَلَ فهماً، ويأخُذَ علماً.

• ومِن الأمور التي يجبُ التنبيهُ عليها في هذا المقامِ أنّ:

الحديث الخامس عشر:

المؤمن مراة أخيه

عن أبي هُريرةَ قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

« المُؤْمِنُ مِرآةُ المُؤمِنِ، والمُؤْمِنُ أخو المُؤْمِنِ، يَكُفُّ عليهِ ضَيْعَتَه، ويحوطُه مِن ورائهِ ».

رواه البُخاري في « الأدب المفرد » (٥٣٩) والقُضاعي (١٢٥) وأبو داود (٤٩١٨) والطبراني في « مكارم الأخلاق » (رقم: ٩٢) من طريق سُليمان بن بلال، عن كثير بن زيد[1]، عن الوليد بن رباح عنه.

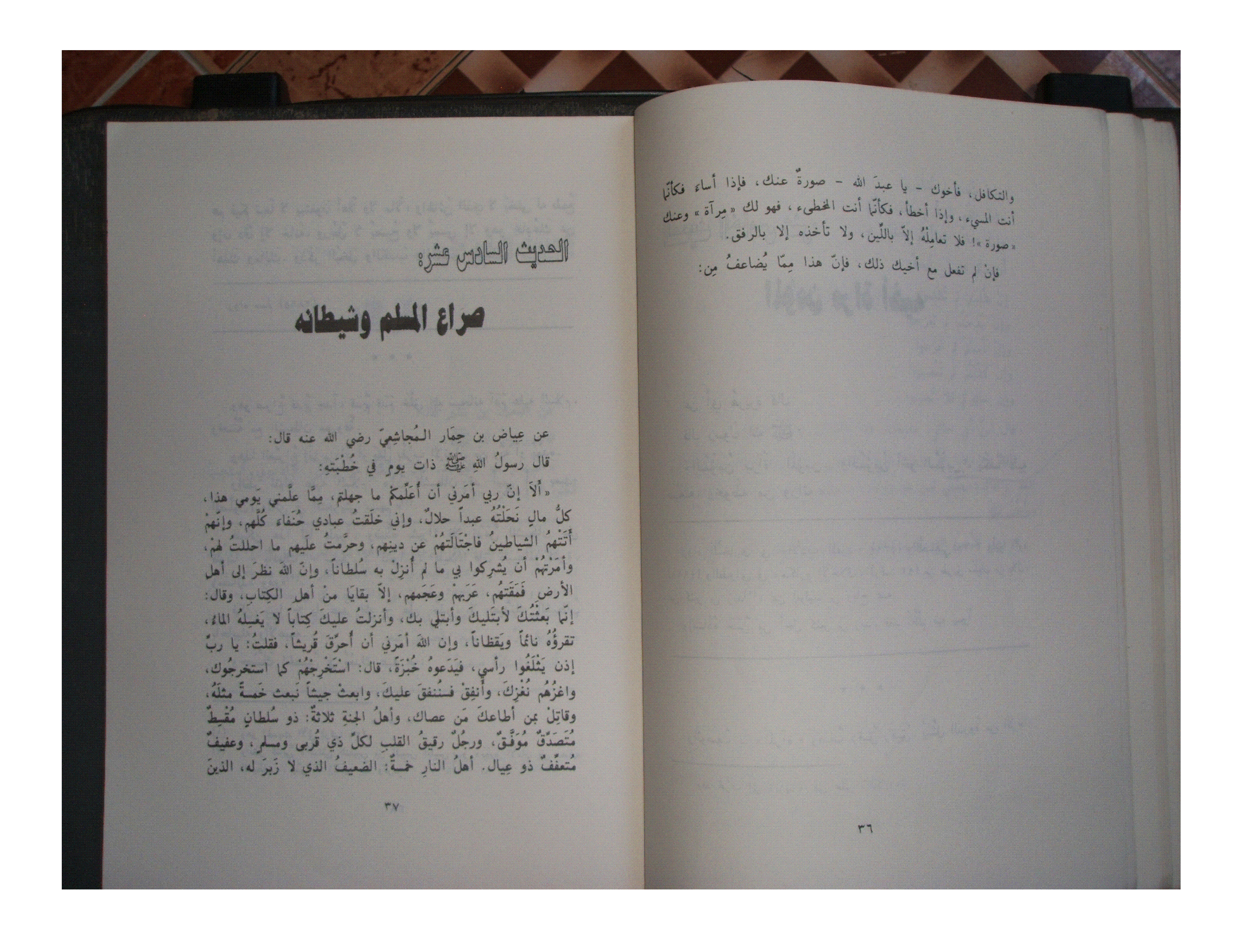
وإسنادُهُ حَسَنٌ مِن أجل كثير بن زيد، فقد تُكُلِّم فيه يسيراً.

---

* * *

والوصفُ بـ « المِرآة » وصفٌ دقيقٌ رقيقٌ، يُمَثِّل الذروةَ من الإخاء

(١) وقد تحرّف إلى « يزيد » على محقق « المكارم »!.



والتكافل، فأخوك - يا عبدَ الله - صورةٌ عنك، فإذا أساء فكأنّما أنت المسيء، وإذا أخطأ، فكأنّما أنت المخطىء، فهو لك «مِرآة» وعنك «صورة»! فلا تعامِلْهُ إلاّ باللّين، ولا تأخذه إلا بالرفق.

فإنْ لم تفعل مع أخيك ذلك، فإنّ هذا مِمّا يُضاعفُ مِن:

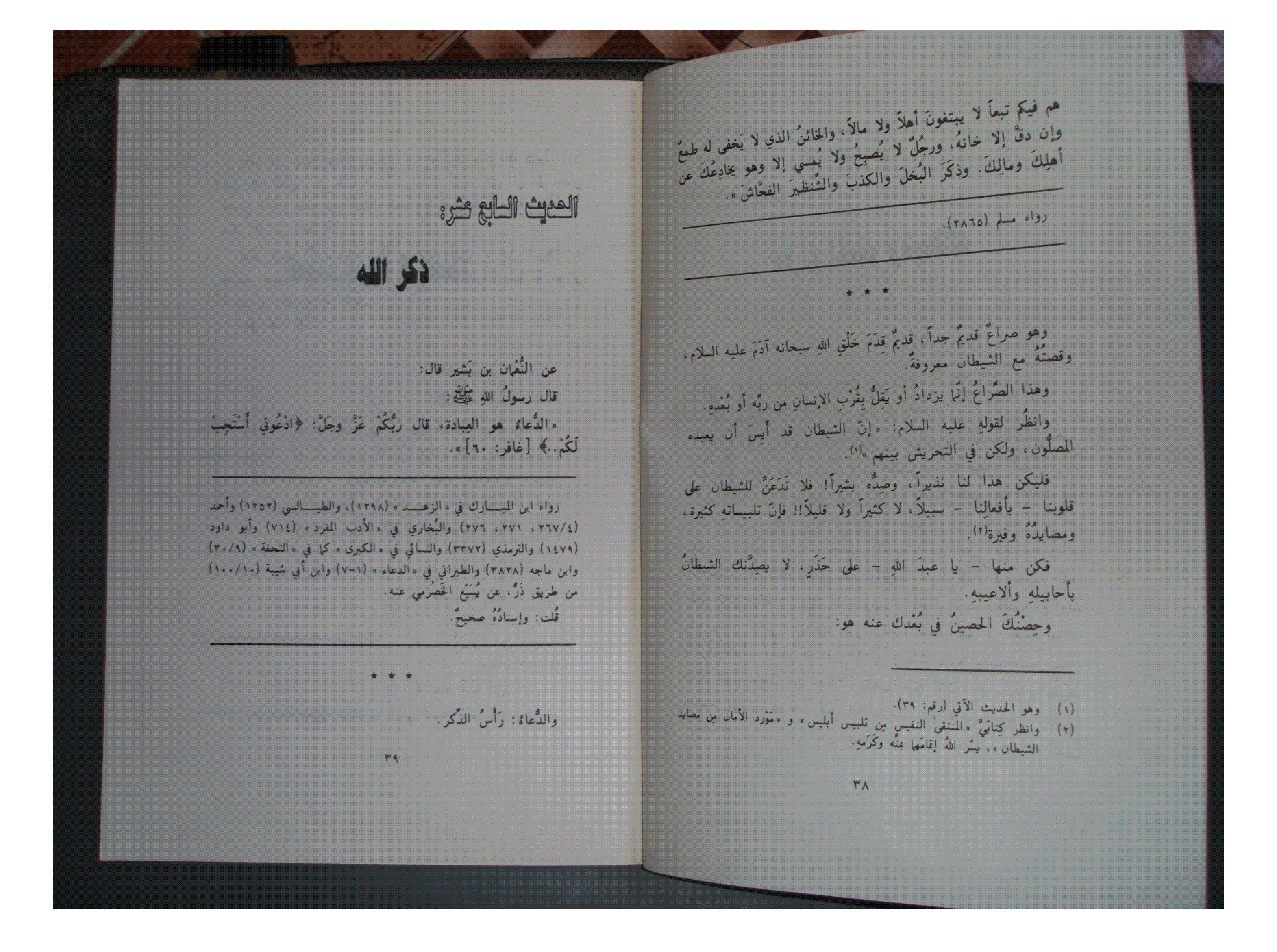
الحديث السادس عشر

صراع المسلم وشيطانه

عن عِياض بن حِمَار المُجاشِعيّ رضي الله عنه قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ ذات يومٍ في خُطْبَتِهِ:

«ألاَ إنّ ربي أمَرني أن أُعَلّمكُمْ ما جهلتم، مِمّا علّمني يومي هذا، كلُّ مالٍ نَحَلْتُهُ عبداً حلالٌ، وإني خلقتُ عبادي حُنَفاءَ كُلّهم، وإنّهمْ أَتَتْهمُ الشياطينُ فاجْتَالَتهُمْ عن دينِهم، وحرَّمتُ عليهم ما احللتُ لهمْ، وأمَرَتْهُمْ أن يُشرِكوا بِي ما لم أُنزِلْ به سُلطاناً، وإنّ اللهَ نظرَ إلى أهلِ الأرضِ فَمَقَتَهُم، عَرَبَهمْ وعَجَمَهم، إلاّ بقايَا منْ أهلِ الكِتابِ، وقال: إنّما بَعَثْتُكَ لأبتَليكَ وأبتلِي بك، وأنزلتُ عليكَ كِتاباً لا يَغسِلهُ الماءُ، تقرؤُهُ نائماً ويَقظاناً، وإن اللهَ أمَرنِي أن أُحرّقَ قُريشاً، فقلتُ: يا ربِّ إذن يَثْلَغُوا رأسِي، فيَدَعوهُ خُبْزَةً، قال: اسْتَخْرِجْهُمْ كما استخرجُوك، واغزُهُم نُغْزِكَ، وأنفِقْ فسَنُنفقَ عليكَ، وابعثْ جيشاً نَبعث خمسةً مثلَهُ، وقاتِلْ بمن أطاعكَ مَن عصاك، وأهلُ الجنةِ ثلاثةٌ: ذو سُلطانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدّقٌ مُوَفَّقٌ، ورجُلٌ رقيقُ القلبِ لكلّ ذي قُربى ومسلمٍ، وعفيفٌ مُتعفّفٌ ذو عِيال. أهلُ النارِ خمسةٌ: الضعيفُ الذي لا زَبرَ له، الذينَ



هم فيكم تبعاً لا يبتغونَ أهلاً ولا مالاً، والخائنُ الذي لا يَخفى له طمعٌ وإن دقَّ إلا خانهُ، ورجُلٌ لا يُصبِحُ ولا يُمسي إلا وهو يخادِعُكَ عن أهلِكَ ومالِكَ. وذكَرَ البُخلَ والكذبَ والشِّنظيرَ الفحَّاشَ».

رواه مسلم (٢٨٦٥).

* * *

وهو صراعٌ قديمٌ جداً، قديمٌ قِدَمَ خَلْقِ اللهِ سبحانه آدَمَ عليه السلام، وقصتُهُ مع الشيطان معروفةٌ.

وهذا الصِّراعُ إنّما يزدادُ أو يَقِلُّ بِقُرْبِ الإنسانِ من ربِّه أو بُعْدِهِ.

وانظُر لقولِهِ عليه السلام: «إنّ الشيطان قد أيِسَ أن يعبده المصلُّون، ولكن في التحريش بينهم»[١].

فليكن هذا لنا نذيراً، وضِدُّه بشيراً! فلا نَدَعَنَّ للشيطان على قلوبنا - بأفعالِنا - سبيلاً، لا كثيراً ولا قليلاً!! فإنّ تلبيساتِهِ كثيرة، ومصايدُهُ وفيرة[٢].

فكن منها - يا عبدَ اللهِ - على حَذَرٍ، لا يصِدَّنك الشيطانُ بأحابيلِهِ وألاعيبِهِ.

وحِصْنُكَ الحصينُ في بُعْدك عنه هو:

(١) وهو الحديث الآتي (رقم: ٣٩).
(٢) وانظر كِتابَيَّ «المنتقى النفيس من تلبيس أبليس» و «مَوْرد الأمان من مصايد الشيطان»، يسّر اللهُ إتمامَها بمنّه وكَرَمِهِ.

الحديث السابع عشر:

ذكر الله

عن النُّعمان بن بَشير قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

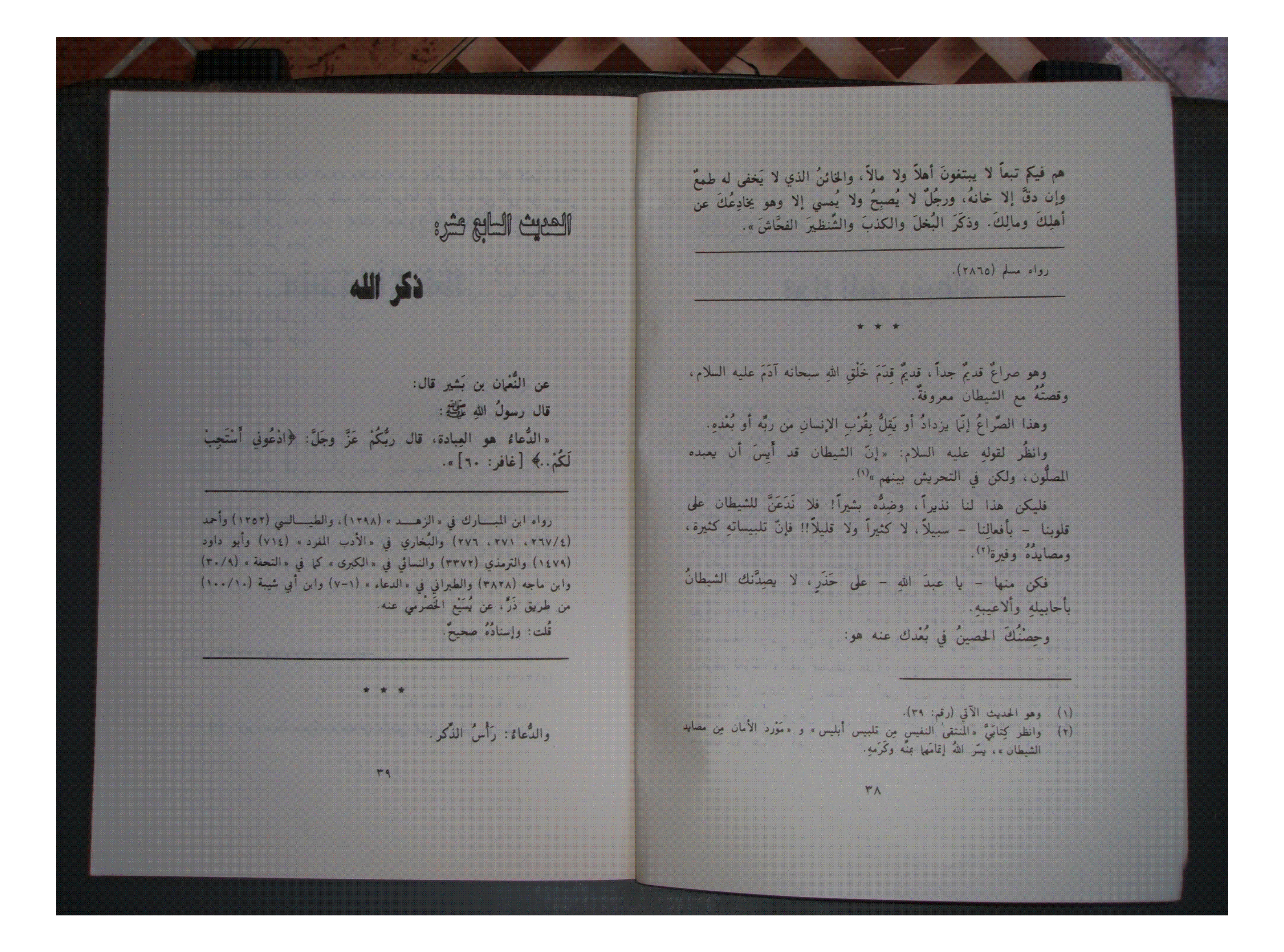
«الدُّعاءُ هو العِبادة، قال ربُّكُمْ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ادْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ..﴾ [غافر: ٦٠]».

رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٩٨)، والطيالسي (١٢٥٢) وأحمد (٤/٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦) والبُخاري في «الأدب المفرد» (٧١٤) وأبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٣٣٧٢) والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» (٩/٣٠) وابن ماجه (٣٨٢٨) والطبراني في «الدعاء» (١-٧) وابن أبي شيبة (١٠/١٠٠) من طريق ذَرٍّ، عن يُسَيْع الحَضْرمي عنه.

قُلت: وإسنادُهُ صحيحٌ.

* * *

والدُّعاءُ: رَأسُ الذكر.



هم فيكم تبعاً لا يبتغونَ أهلاً ولا مالاً، والخائنُ الذي لا يَخفى له طمعٌ وإن دقَّ إلا خانهُ، ورجُلٌ لا يُصبحُ ولا يُمسي إلا وهو يخادِعُكَ عن أهلِكَ ومالِكَ. وذكَرَ البُخلَ والكذبَ والشِّنظيرَ الفحَّاشَ».

رواه مسلم (٢٨٦٥).

---

* * *

وهو صراعٌ قديمٌ جداً، قديمٌ قِدَمَ خَلْقِ اللهِ سبحانه آدَمَ عليه السلام، وقصتُهُ مع الشيطان معروفةٌ.

وهذا الصِّراعُ إنّما يزدادُ أو يَقِلُّ بِقُرْبِ الإنسانِ من ربِّه أو بُعْدِهِ.

وانظُر لقولهِ عليه السلام: «إنَّ الشيطان قد أَيِسَ أن يعبده المصلُّون، ولكن في التحريش بينهم»[١].

فليكن هذا لنا نذيراً، وضِدُّه بشيراً! فلا نَدَعَنَّ للشيطان على قلوبنا - بأفعالِنا - سبيلاً، لا كثيراً ولا قليلاً!! فإنّ تلبيساتِهِ كثيرة، ومصايدُهُ وفيرة[٢].

فكن منها - يا عبدَ اللهِ - على حَذَرٍ، لا يصِدَّنك الشيطانُ بأحابيلِهِ وألاعيبِهِ.

وحِصْنُكَ الحصينُ في بُعْدك عنه هو:

---

(١) وهو الحديث الآتي (رقم: ٣٩).

(٢) وانظر كِتابَيَّ «المنتقى النفيس مِن تلبيس أبليس» و «مَوْرد الأمان مِن مصايد الشيطان»، يسَّر اللهُ إتمامَها بمَنِّه وكَرَمِهِ.

الحديث السابع عشر

ذكر الله

عن النُّعْمان بن بَشِير قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«الدُّعاءُ هو العِبادة، قال ربُّكُمْ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ادْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ..﴾ [غافر: ٦٠]».

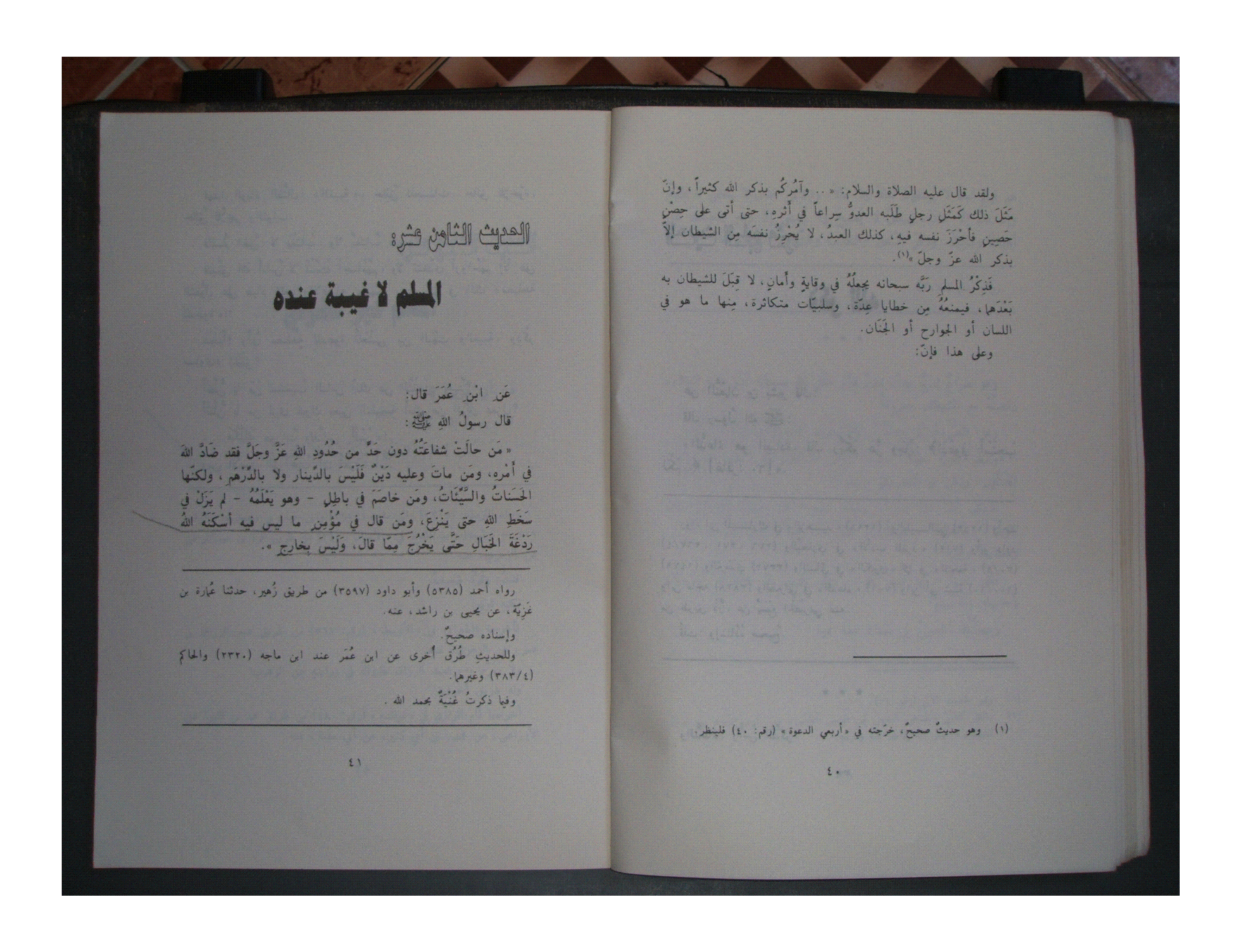
رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٩٨)، والطيالسي (١٣٥٢) وأحمد (٢٦٧/٤، ٢٧١، ٢٧٦) والبُخاري في «الأدب المفرد» (٧١٤) وأبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٣٣٧٢) والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» (٣٠/٩) وابن ماجه (٣٨٢٨) والطبراني في «الدعاء» (١-٧) وابن أبي شيبة (١٠٠/١٠) من طريق ذَرٍّ، عن يُسَيْع الحَضْرمي عنه.

قُلت: وإسنادُهُ صحيحٌ.

---

* * *

والدُّعاءُ: رَأْسُ الذِّكر.



ولقد قال عليه الصلاة والسلام: « .. وآمُرُكُم بذكر الله كثيراً، وإنّ مَثَلَ ذلك كَمَثَلِ رجلٍ طَلَبه العدوُّ سِراعاً في أثرِهِ، حتى أتى على حِصْنٍ حَصِينٍ فأحْرَزَ نفسه فيه، كذلك العبدُ، لا يُحْرِزُ نفسَه مِن الشيطان إلاّ بذكر الله عزّ وجلّ »[1].

فَذِكْرُ المسلمِ ربَّه سبحانه يجعلُهُ في وقايةٍ وأمانٍ، لا قِبَلَ للشيطان به بَعْدَها، فيمنعُهُ مِن خطايا عِدّة، وسلبيّات متكاثرة، مِنها ما هو في اللسان أو الجوارح أو الجَنَان.

وعلى هذا فإنّ:

(1) وهو حديثٌ صحيحٌ، خرّجته في « أربعي الدعوة » (رقم: 40) فلينظر.

الحديث الثامن عشر:

المسلم لا غيبة عنده

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

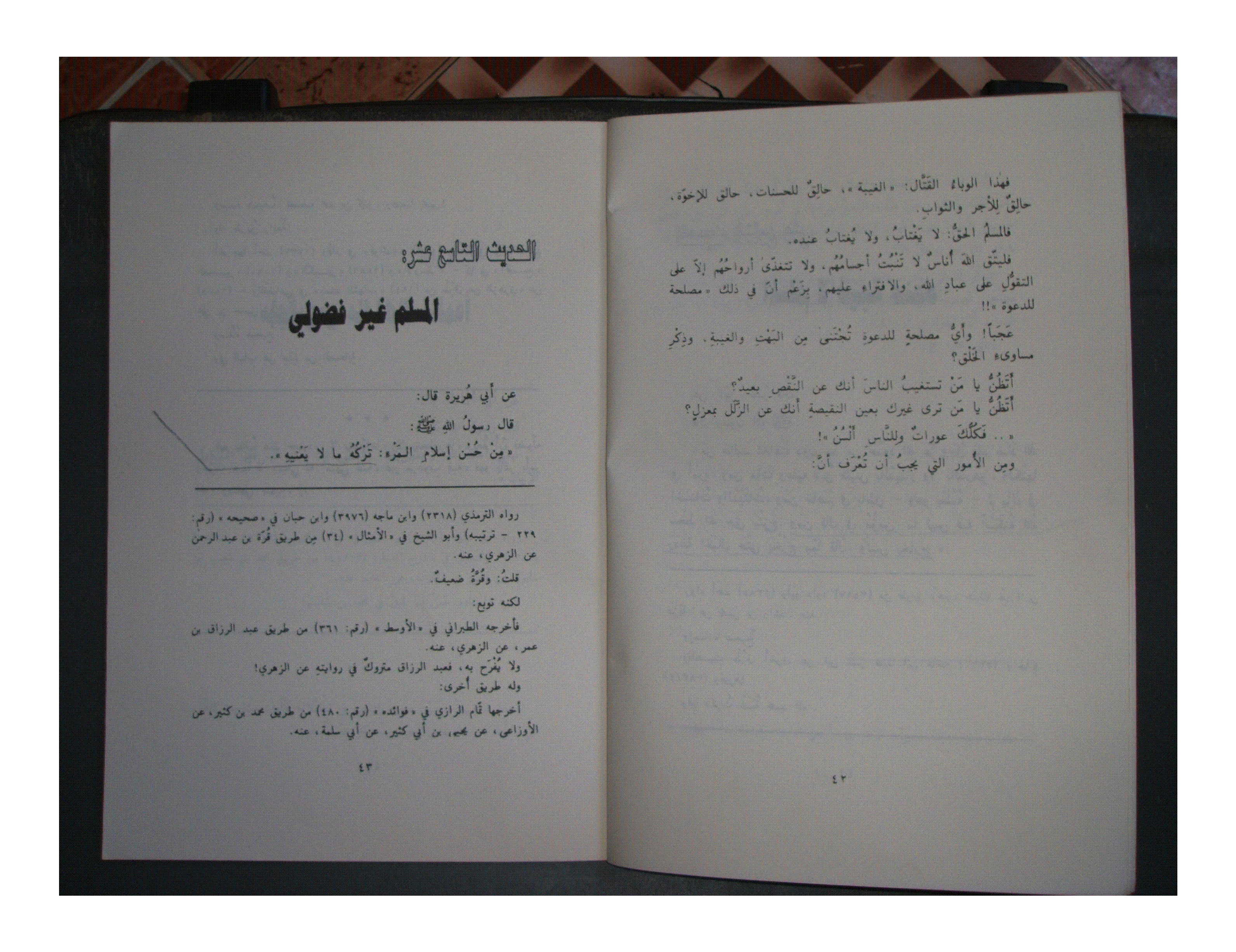
« مَن حالَتْ شفاعَتُهُ دون حَدٍّ من حُدُودِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ فقد ضَادَّ اللهَ في أمْرِه، ومَن ماتَ وعليه دَيْنٌ فَلَيْسَ بالدِّينار ولا بالدِّرْهَمِ، ولكنّها الحَسَناتُ والسَّيِّئَاتُ، ومَن خاصَمَ في باطِلٍ - وهو يَعْلَمُهُ - لم يَزَلْ في سَخَطِ اللهِ حتى يَنْزِعَ، ومَن قال في مُؤْمِنٍ ما ليس فيه أسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قالَ، وَلَيْسَ بِخارِجٍ ».

رواه أحمد (5385) وأبو داود (3597) من طريق زُهير، حدثنا عُمارة بن غَزِيّة، عن يحيى بن راشد، عنه.

وإسناده صحيحٌ.

وللحديثِ طُرُق أُخرى عن ابن عُمَر عند ابن ماجه (2320) والحاكم (4/383) وغيرهما.

وفيما ذكرتُ غُنْيَةٌ بحمد الله.



فهذا الوباءُ القتّال: «الغيبة»، حالِقٌ للحسنات، حالق للإخوّة، حالِقٌ لِلأجر والثواب.

فالمسلمُ الحقُّ: لا يَغتابُ، ولا يُغتابُ عنده.

فليتّقِ اللهَ أناسٌ لا تَنبُتُ أجسامُهم، ولا تتغذّى أرواحُهم إلاّ على التقوُّلِ على عبادِ الله، والافتراء عليهم، بِزَعْم أنّ في ذلك «مصلحة للدعوة»!!

عَجَباً! وأيُّ مصلحةٍ للدعوةِ تُجتنى مِن البَهْتِ والغيبةِ، وذِكْرِ مساوىء الخَلْق؟

أتظُنُّ يا مَنْ تستغيبُ الناسَ أنك عن النَّقْصِ بعيدٌ؟
أتظُنُّ يا مَن ترى غيرك بعين النقيصةِ أنك عن الزّلل بمعزلٍ؟
«.. فكلُّكَ عوراتٌ وللنّاسِ ألْسُنُ»!

ومِن الأمور التي يجبُ أن تُعْرَف أنّ:

الحديث التاسع عشر:

المسلم غير فضولي

عن أبي هُريرة قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«مِنْ حُسْنِ إسلامِ المَرْءِ: تَرْكُهُ ما لا يَعْنيهِ».

رواه الترمذي (٢٣١٨) وابن ماجه (٣٩٧٦) وابن حبان في «صحيحه» (رقم: ٢٢٩ - ترتيبه) وأبو الشيخ في «الأمثال» (٣٤) مِن طريق قُرّة بن عبد الرحمن عن الزهري، عنه.

قلتُ: وقُرّةُ ضعيفٌ.

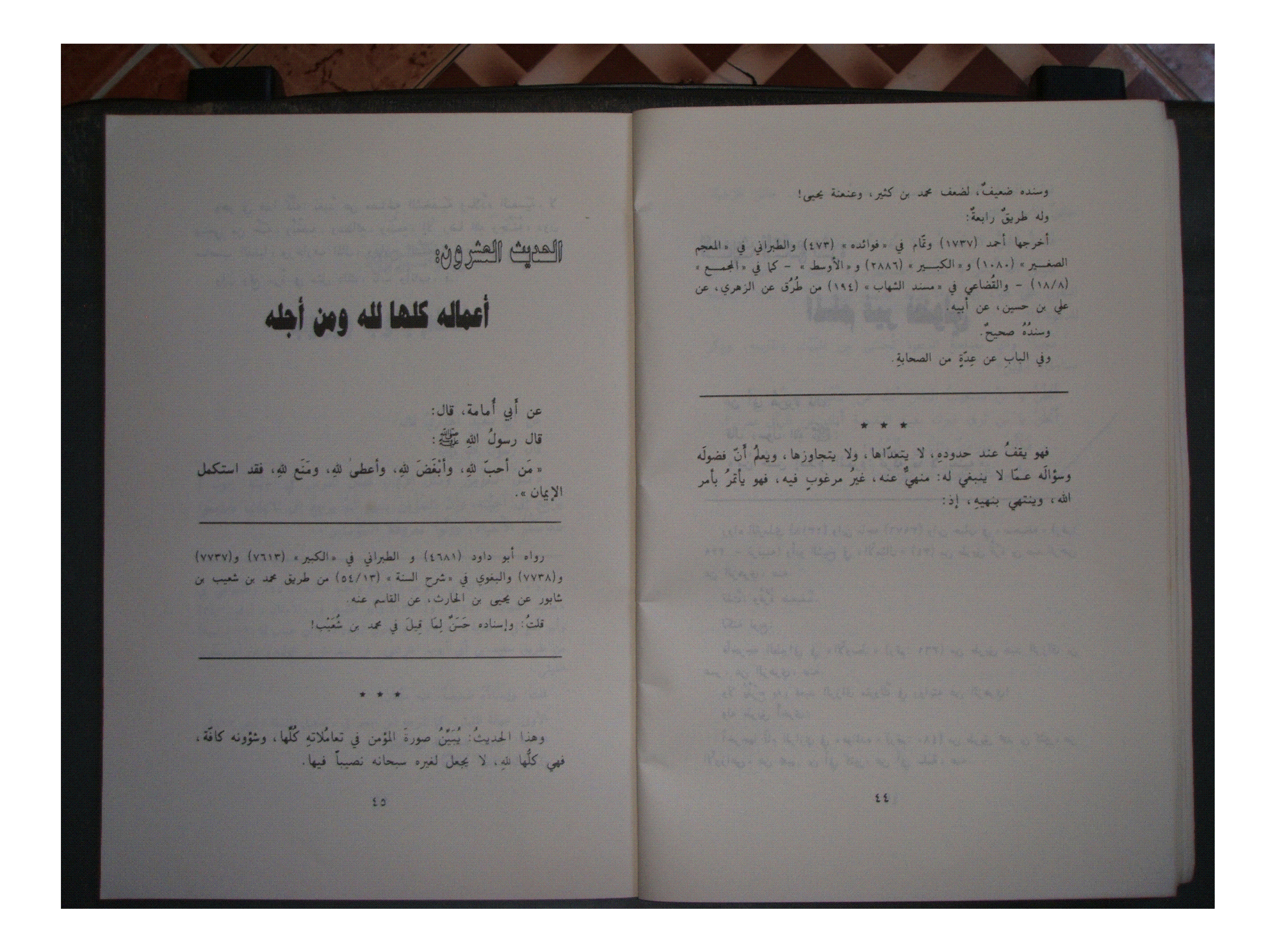
لكنه توبع:

فأخرجه الطبراني في «الأوسط» (رقم: ٣٦١) من طريق عبد الرزاق بن عمر، عن الزهري، عنه.

ولا يُفْرَح به، فعبد الرزاق متروكٌ في روايتِهِ عن الزهري!

وله طريق أخرى:

أخرجها تمّام الرازي في «فوائده» (رقم: ٤٨٠) من طريق محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عنه.



وسنده ضعيفٌ، لضعف محمد بن كثير، وعنعنة يحيى!

وله طريقٌ رابعةٌ:

أخرجها أحمد (١٧٣٧) وتمّام في «فوائده» (٤٧٣) والطبراني في «المعجم الصغير» (١٠٨٠) و«الكبير» (٢٨٨٦) و«الأوسط» - كما في «المجمع» (١٨/٨) - والقُضاعي في «مسند الشهاب» (١٩٤) من طُرُق عن الزهري، عن علي بن حسين، عن أبيه.

وسندُهُ صحيحٌ.

وفي البابِ عن عِدَّةٍ من الصحابةِ.

---

* * *

فهو يقفُ عند حدودهِ، لا يتعدّاها، ولا يتجاوزها، ويعلمُ أنّ فضولَه وسؤالَه عمّا لا ينبغي له: منهيٌّ عنه، غيرُ مرغوبٍ فيه، فهو يأتمرُ بأمر الله، وينتهي بنهيهِ، إذ:

الحديث العشرون:

أعماله كلها لله ومن أجله

عن أبي أُمامة، قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«مَن أحبَّ للهِ، وأبْغَضَ للهِ، وأعطى للهِ، ومَنَع للهِ، فقد استكمل الإيمان».

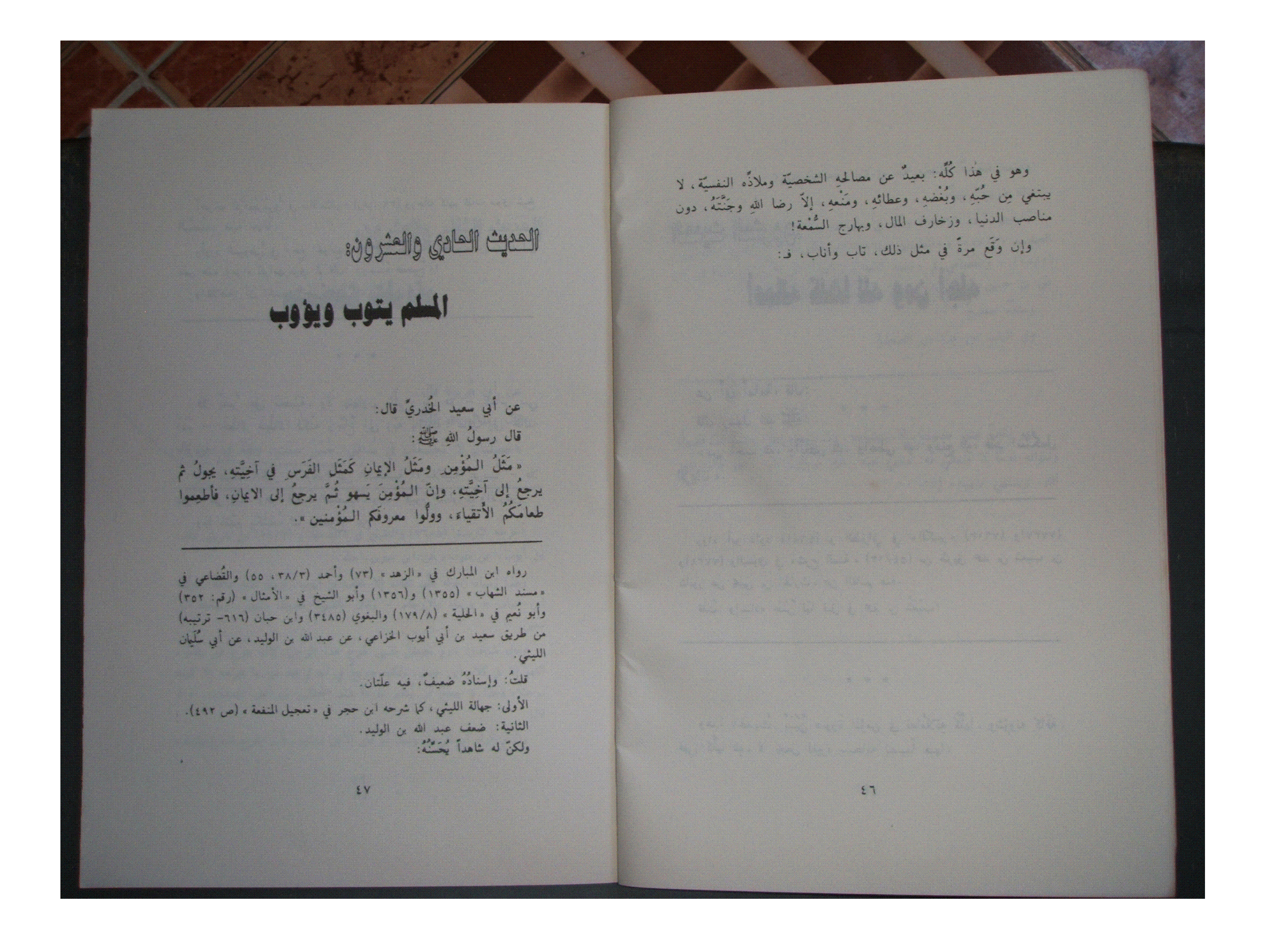
رواه أبو داود (٤٦٨١) و الطبراني في «الكبير» (٧٦١٣) و(٧٧٣٧) و(٧٧٣٨) والبغوي في «شرح السنة» (٥٤/١٣) من طريق محمد بن شعيب بن شابور عن يحيى بن الحارث، عن القاسم عنه.

قلتُ: وإسناده حَسَنٌ لِمَا قيلَ في محمد بن شُعَيْب!

---

* * *

وهذا الحديثُ: يُبيّنُ صورةَ المؤمن في تعامُلاتِهِ كُلِّها، وشؤونه كافّة، فهي كلُّها للهِ، لا يجعل لغيره سبحانه نصيباً فيها.



وهو في هذا كُلِّه: بعيدٌ عن مصالحِهِ الشخصيّة وملاذِّه النفسيّة، لا يبتغي مِن حُبِّهِ، وبُغْضِهِ، وعطائِهِ، ومَنْعِهِ، إلاّ رضا اللهِ وجَنَّتَهُ، دون مناصب الدنيا، وزخارف المال، وبهارج السُّمْعة!

وإن وَقَع مرةً في مثل ذلك، تاب وأنابَ، فـ:

الحديث الحادي والعشرون:

المسلم يتوب ويؤوب

عن أبي سعيد الخُدريِّ قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«مَثَلُ المُؤمِنِ ومَثَلُ الإيمانِ كَمَثَلِ الفَرَسِ في آخِيَّتِهِ، يجولُ ثم يرجعُ إلى آخِيَّتِهِ، وإنّ المُؤْمِنَ يَسهو ثُمَّ يرجعُ إلى الايمانِ، فأطعِموا طعامَكُمُ الأتقياءَ، وولُوا معروفَكم المُؤمنين».

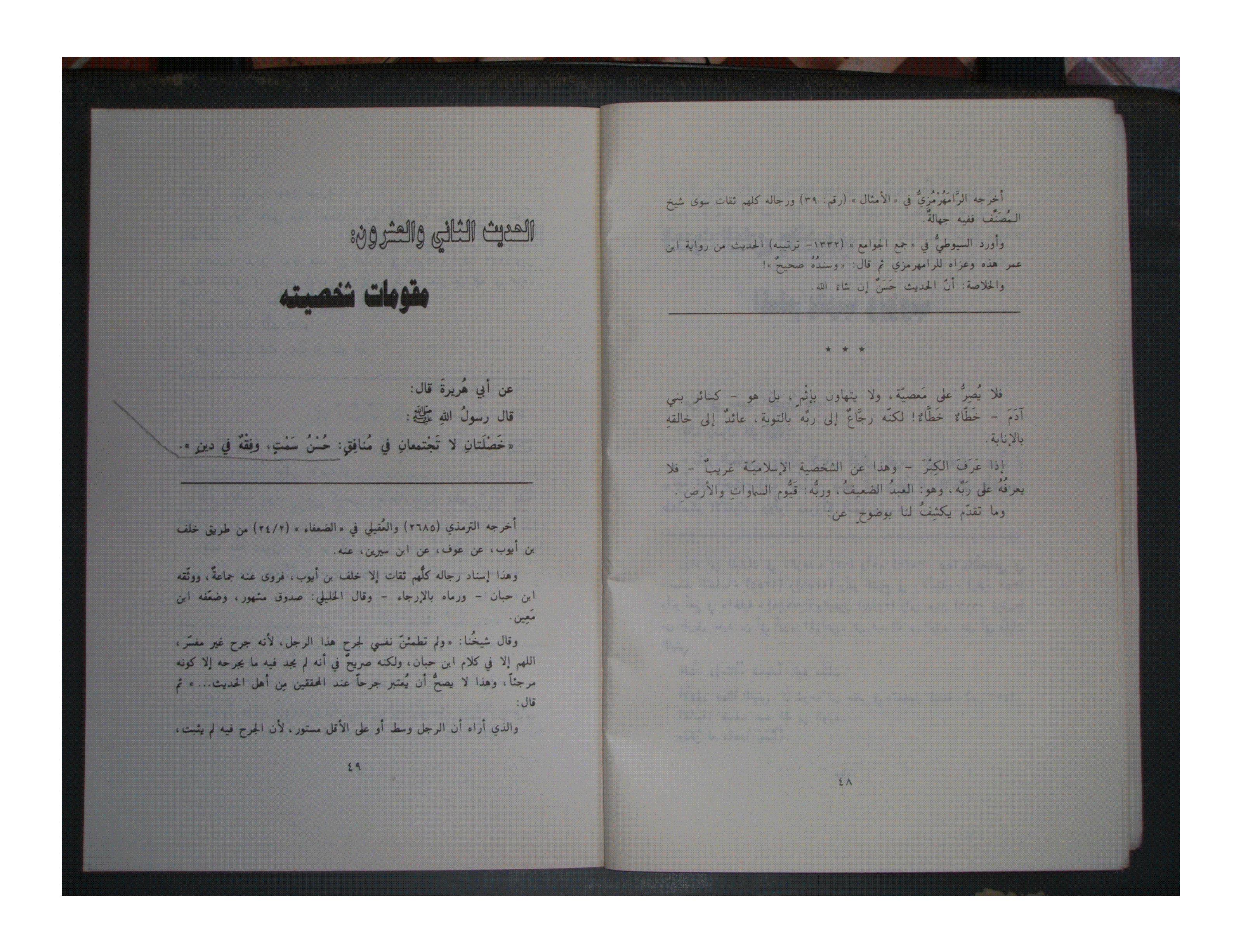
رواه ابن المبارك في «الزهد» (٧٣) وأحمد (٣/٣٨، ٥٥) والقُضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٥٥) و(١٣٥٦) وأبو الشيخ في «الأمثال» (رقم: ٣٥٢) وأبو نُعيم في «الحلية» (٨/١٧٩) والبغوي (٣٤٨٥) وابن حبان (٦١٦- ترتيبه) من طريق سعيد بن أبي أيوب الخزاعي، عن عبد الله بن الوليد، عن أبي سُلَيمان الليثي.

قلتُ: وإسنادُهُ ضعيفٌ، فيه علّتان.

الأولى: جهالة الليثي، كما شرحه ابن حجر في «تعجيل المنفعة» (ص ٤٩٢).

الثانية: ضعف عبد الله بن الوليد.

ولكنّ له شاهداً يُحَسِّنُهُ:



أخرجه الرَّامَهُرْمُزِيُّ في «الأمثال» (رقم: ٣٩) ورجاله كلهم ثقات سوى شيخ المُصَنِّف ففيه جهالةٌ.

وأورد السيوطيُّ في «جمع الجوامع» (١٣٣٢- ترتيبه) الحديث من رواية ابن عمر هذه وعزاه للرامهرمزي ثم قال: «وسندُهُ صحيحٌ»!

والخلاصة: أنّ الحديث حَسَنٌ إن شاء الله.

---

* * *

فلا يُصِرُّ على مَعصيَة، ولا يتهاون بإثمٍ، بل هو - كسائر بني آدَمَ - خَطَّاءٌ خَطَّاءٌ! لكنّه رجّاعٌ إلى ربِّه بالتوبةِ، عائدٌ إلى خالقهِ بالإنابة.

إذا عَرَفَ الكِبْرَ - وهذا عن الشخصية الإسلاميّة غريبٌ - فلا يعرفُهُ على ربّه، وهو: العبدُ الضعيفُ، وربُّه: قَيُّوم السماواتِ والأرضِ.

وما تقدّم يكشِفُ لنا بوضوحٍ عن:

الحديث الثاني والعشرون:

مقومات شخصيته

عن أبي هُريرةَ قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

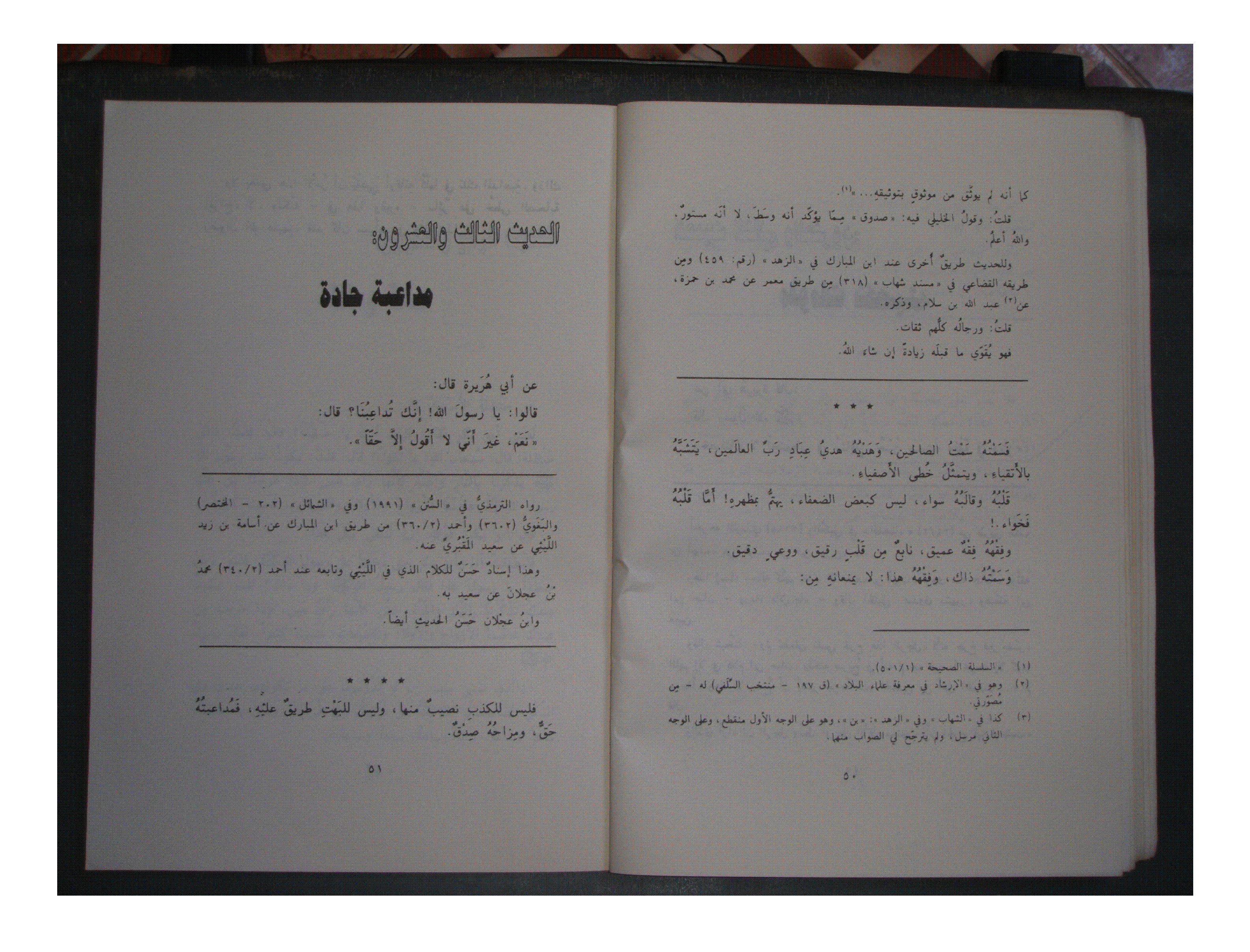
«خَصلَتانِ لا تَجتمعانِ في مُنافِقٍ: حُسْنُ سَمْتٍ، وفِقْهٌ في دينٍ».

أخرجه الترمذي (٢٦٨٥) والعُقيلي في «الضعفاء» (٢/٢٤) من طريق خلف بن أيوب، عن عوف، عن ابن سيرين، عنه.

وهذا إسناد رجاله كلُّهم ثقات إلا خلف بن أيوب، فروى عنه جماعةٌ، ووثّقه ابن حبان - ورماه بالإرجاء - وقال الخليلي: صدوق مشهور، وضعّفه ابن مَعِين.

وقال شيخُنا: «ولم تطمئنَّ نفسي لجرحِ هذا الرجل، لأنه جرح غير مفسّر، اللهم إلا في كلام ابن حبان، ولكنه صريحٌ في أنه لم يجد فيه ما يجرحه إلا كونه مرجئاً، وهذا لا يصحُّ أن يُعتبر جرحاً عند المحققين مِن أهل الحديث...» ثم قال:

والذي أراه أن الرجل وسط أو على الأقل مستور، لأن الجرح فيه لم يثبت،



كما أنه لم يوثّق من موثوقٍ بتوثيقه...»[1].

قلتُ: وقولُ الخليلي فيه: «صدوق» مِمّا يؤكّد أنه وسَطَ، لا أنّه مستورٌ، واللهُ أعلمُ.

وللحديث طريقٌ أخرى عند ابن المبارك في «الزهد» (رقم: ٤٥٩) ومِن طريقه القضاعي في «مسند شهاب» (٣١٨) مِن طريق معمر عن محمد بن حمزة، عن[2] عبد الله بن سلام، وذكره.

قلتُ: ورجالُه كلُّهم ثقات.

فهو يُقَوّي ما قبلَه زيادةً إن شاءَ اللهُ.

---

* * *

فَسَمْتُهُ سَمْتُ الصالحين، وَهَدْيُهُ هديُ عِبادِ رَبِّ العالَمين، يَتَشَبَّهُ بالأتقياءِ، ويتمثَّلُ خُطى الأصفياءِ.

قَلْبُهُ وقالَبُهُ سواء، ليس كبعض الضعفاء، يهتمُّ بمظهرِه! أمّا قَلْبُهُ فَخَواء.!

وفِقْهُهُ فِقْهٌ عميق، نابعٌ مِن قَلْبٍ رقيق، ووعيٍ دقيق.

وَسَمْتُهُ ذاك، وَفِقْهُهُ هذا: لا يمنعانِه مِن:

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (٥٠١/١).

(٢) وهو في «الإرشاد في معرفة علماء البلاد» (ق ١٩٧ - منتخب السِّلَفي) له - مِن مُصَوَّرَتي.

(٣) كذا في «الشهاب» وفي «الزهد»: «بن»، وهو على الوجه الأول منقطع، وعلى الوجه الثاني مرسل، ولم يترجّح لي الصواب منها.

الحديث الثالث والعشرون:

مداعبة جادة

عن أبي هُرَيرة قال:

قالوا: يا رسولَ الله! إنَّك تُداعِبُنا؟ قال:

«نَعَمْ، غيرَ أنّي لا أقولُ إلاّ حَقّاً».

رواه الترمذيُّ في «السُّنن» (١٩٩١) وفي «الشمائل» (٢٠٢ - المختصر) والبَغَويُّ (٣٦٠٢) وأحمد (٣٦٠/٢) من طريق ابن المبارك عن أسامة بن زيد اللَّيْثِي عن سعيد المَقْبُرِيِّ عنه.

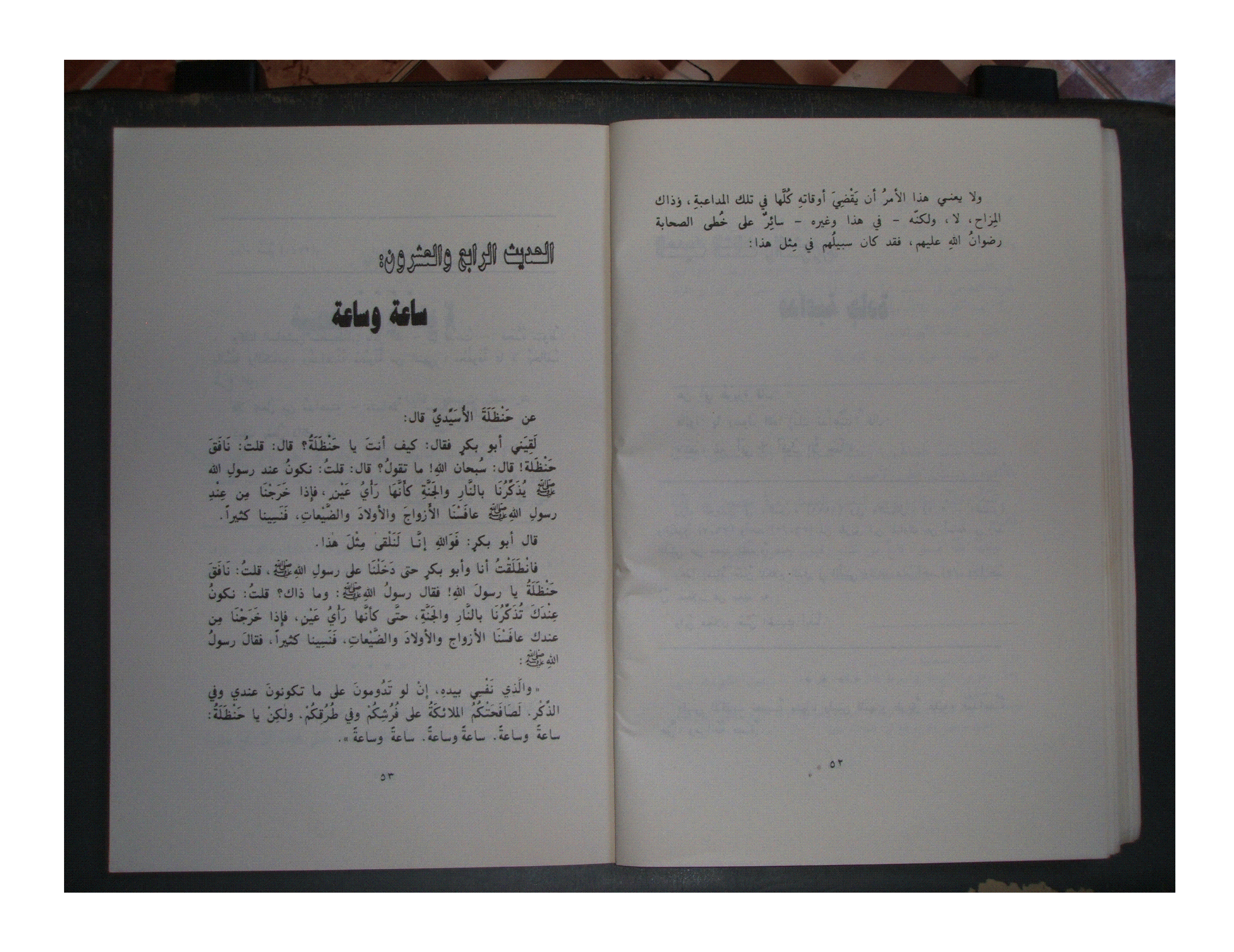
وهذا إسنادٌ حَسَنٌ للكلام الذي في اللَّيْثِي وتابعه عند أحمد (٣٤٠/٢) محمدُ بنُ عجلانَ عن سعيد به.

وابنُ عجلان حَسَنُ الحديثِ أيضاً.

---

* * * *

فليس للكذبِ نصيبٌ منها، وليس للبَهْتِ طريقٌ عليْهِ، فَمُداعبتُهُ حَقٌّ، ومِزاحُهُ صِدْقٌ.



ولا يعني هذا الأمرُ أن يَقْضِيَ أوقاتهِ كُلَّها في تلك المداعبةِ، وذاك المِزاح، لا، ولكنّه - في هذا وغيره - سائِرٌ على خُطى الصحابة رضوانُ اللهِ عليهم، فقد كان سبيلُهم في مِثل هذا:

الحديث الرابع والعشرون:

ساعة وساعة

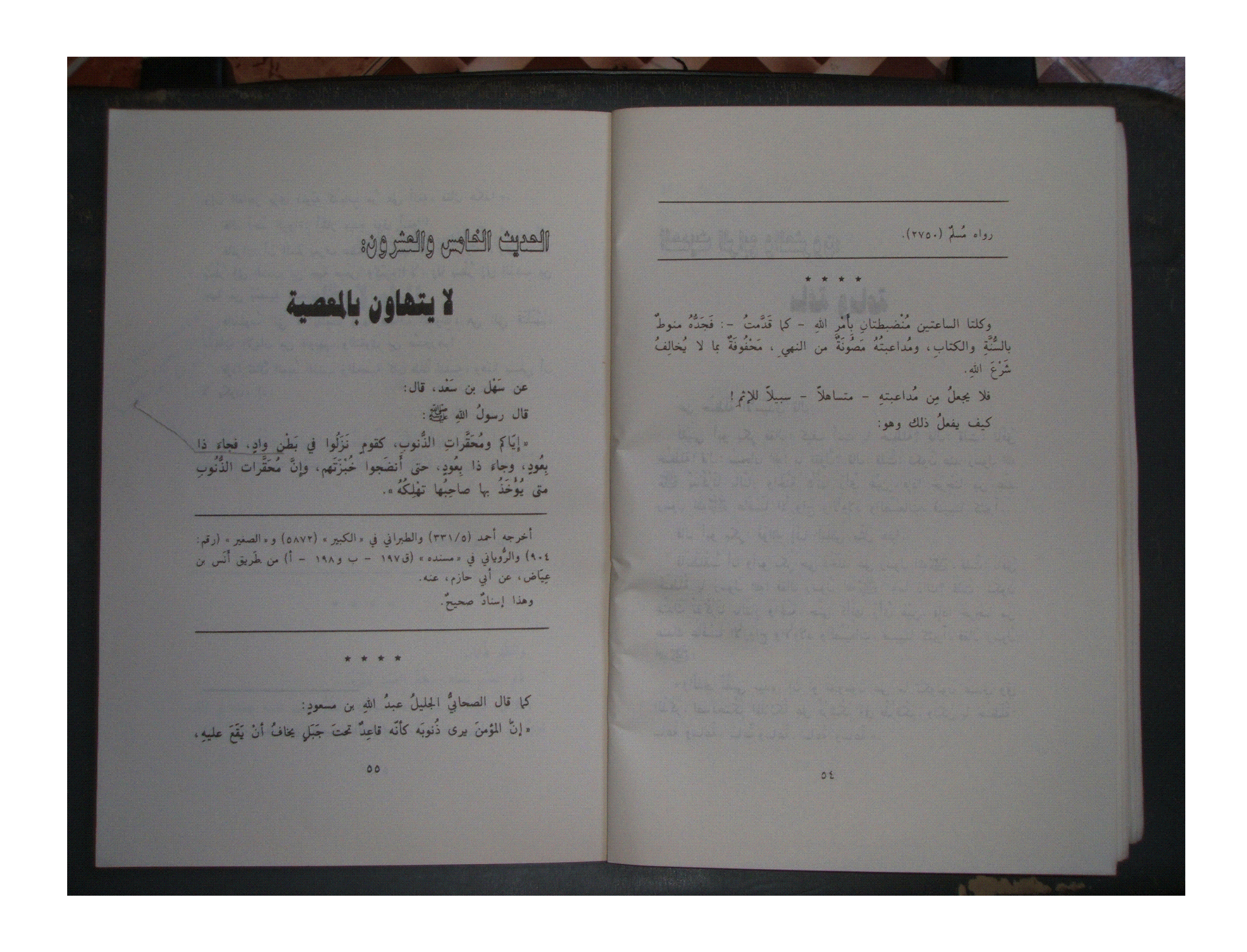
عن حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ قال:

لَقِيَني أبو بكرٍ فقال: كيف أنتَ يا حَنْظَلَةُ؟ قال: قلتُ: نَافَقَ حَنْظَلَة! قال: سُبحانَ اللهِ! ما تقولُ؟ قال: قلتُ: نكونُ عند رسولِ الله ﷺ يُذَكِّرُنَا بالنَّارِ والجَنَّةِ كأنَّهَا رَأْيُ عَيْنٍ، فإذا خرجْنَا مِن عِندِ رسولِ اللهِ ﷺ عافَسْنَا الأَزواجَ والأولادَ والضَّيعاتِ، فَنَسِينا كثيراً.

قال أبو بكرٍ: فَوَاللهِ إنَّا لَنَلْقى مِثْلَ هذا.

فانْطَلَقْتُ أنا وأبو بكرٍ حتى دَخَلْنَا على رسولِ اللهِ ﷺ، قلتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يا رسولَ اللهِ! فقال رسولُ اللهِ ﷺ: وما ذاك؟ قلتُ: نكونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بالنَّارِ والجَنَّةِ، حتَّى كأنَّها رَأْيُ عَيْنٍ، فإذا خَرَجْنَا مِن عندك عافَسْنَا الأزواج والأولادَ والضَّيعاتِ، فَنَسِينا كثيراً، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ:

«والَذي نَفْسِي بيدهِ، إنْ لو تَدُومونَ على ما تكونونَ عندي وفي الذِّكْر. لَصَافَحَتْكُمُ الملائكَةُ على فُرُشِكُمْ وفي طُرُقِكُمْ. ولكِنْ يا حَنْظَلَةُ: ساعةً وساعةً. ساعةً وساعةً. ساعةً وساعةً».



رواه مُسلمٌ (٢٧٥٠).

* * * *

وكلتا الساعتين مُنْضبطتانِ بأمْرِ اللهِ - كما قدَّمتُ -: فَجَدُّهُ منوطٌ بالسُّنَّةِ والكتابِ، ومُداعبتُهُ مَصُونَةٌ من النهيِ، مَحْفُوفَةٌ بما لا يُخالِفُ شَرْعَ اللهِ.

فلا يجعلُ مِن مُداعبتِهِ - متساهلاً - سبيلاً للإثم!

كيف يفعلُ ذلك وهو:

الحديث الخامس والعشرون

لا يتهاون بالمعصية

عن سَهْل بن سَعْد، قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«إيّاكم ومُحَقَّراتِ الذُّنوبِ، كقومٍ نَزَلُوا في بَطْنِ وادٍ، فجاءَ ذا بِعُودٍ، وجاءَ ذا بِعُودٍ، حتى أَنضَجوا خُبْزَتَهم، وإنَّ مُحَقَّرات الذُّنُوبِ متى يُؤْخَذْ بها صاحِبُها تهْلِكْهُ».

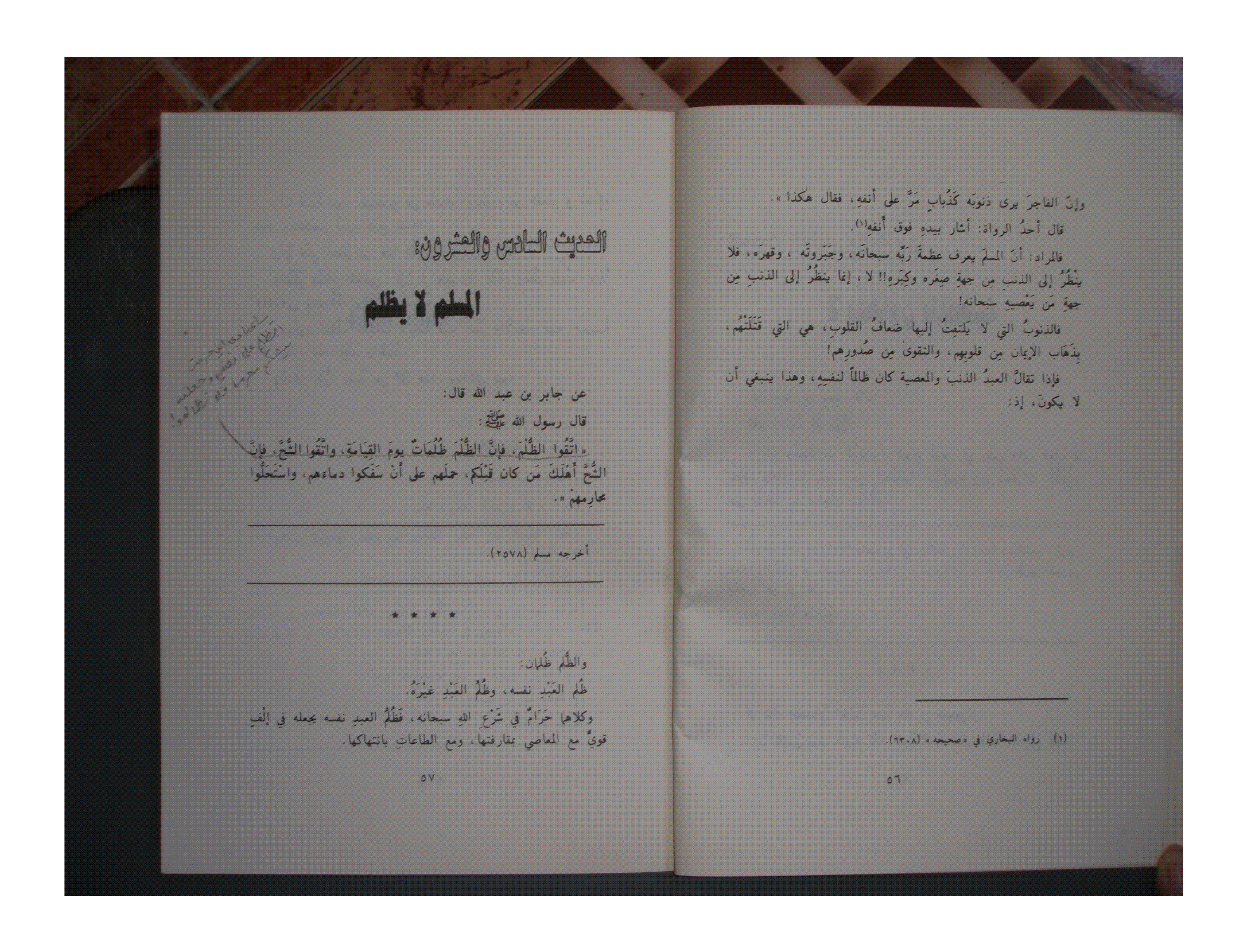
أخرجه أحمد (٣٣١/٥) والطبراني في «الكبير» (٥٨٧٢) و«الصغير» (رقم: ٩٠٤) والرُّوياني في «مسنده» (ق١٩٧ - ب و١٩٨ - أ) من طَريق أَنَس بن عِيَاض، عن أبي حازم، عنه.

وهذا إسنادٌ صحيحٌ.

* * * *

كما قال الصحابيُّ الجليلُ عبدُ اللهِ بن مسعودٍ:

«إنَّ المؤمنَ يرى ذُنوبَه كأنّه قاعِدٌ تحتَ جَبَلٍ يخافُ أنْ يَقَعَ عليهِ،



وإنَّ الفاجرَ يرى ذنوبَه كذُبابٍ مَرَّ على أنفِهِ، فقال هكذا ».

قال أحدُ الرواة: أشار بيدِهِ فوق أنفِهِ[1].

فالمراد: أنَّ المسلمَ يعرف عظمةَ ربِّه سبحانَه، وجَبَروتَه، وقهرَه، فلا يَنْظُرُ إلى الذنبِ مِن جهةِ صِغَرِه وكِبَرِهِ!! لا، إنما ينظُرُ إلى الذنبِ مِن جهةِ مَن يَعْصيهِ سبحانه!

فالذنوبُ التي لا يَلتفِتُ إليها ضعافُ القلوبِ، هي التي قَتَلَتْهُم، بِذَهَابِ الإيمانِ مِن قلوبِهم، والتقوى مِن صُدورِهم!

فإذا تقالَّ العبدُ الذنبَ والمعصيةَ كان ظالماً لنفسِهِ، وهذا ينبغي أن لا يكونَ، إذ:

(1) رواه البخاري في «صحيحه» (٦٣٠٨).

الحديث السادس والعشرون:

المسلم لا يظلم

عن جابر بن عبد الله قال:

قال رسول الله ﷺ:

«اتَّقُوا الظُّلْمَ، فإنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يومَ القِيَامَةِ، واتَّقُوا الشُّحَّ، فإنَّ الشُّحَّ أهْلَكَ مَن كان قَبْلَكم، حمَلَهم على أنْ سَفَكوا دماءَهم، واسْتَحَلُّوا محارِمَهمْ».

أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

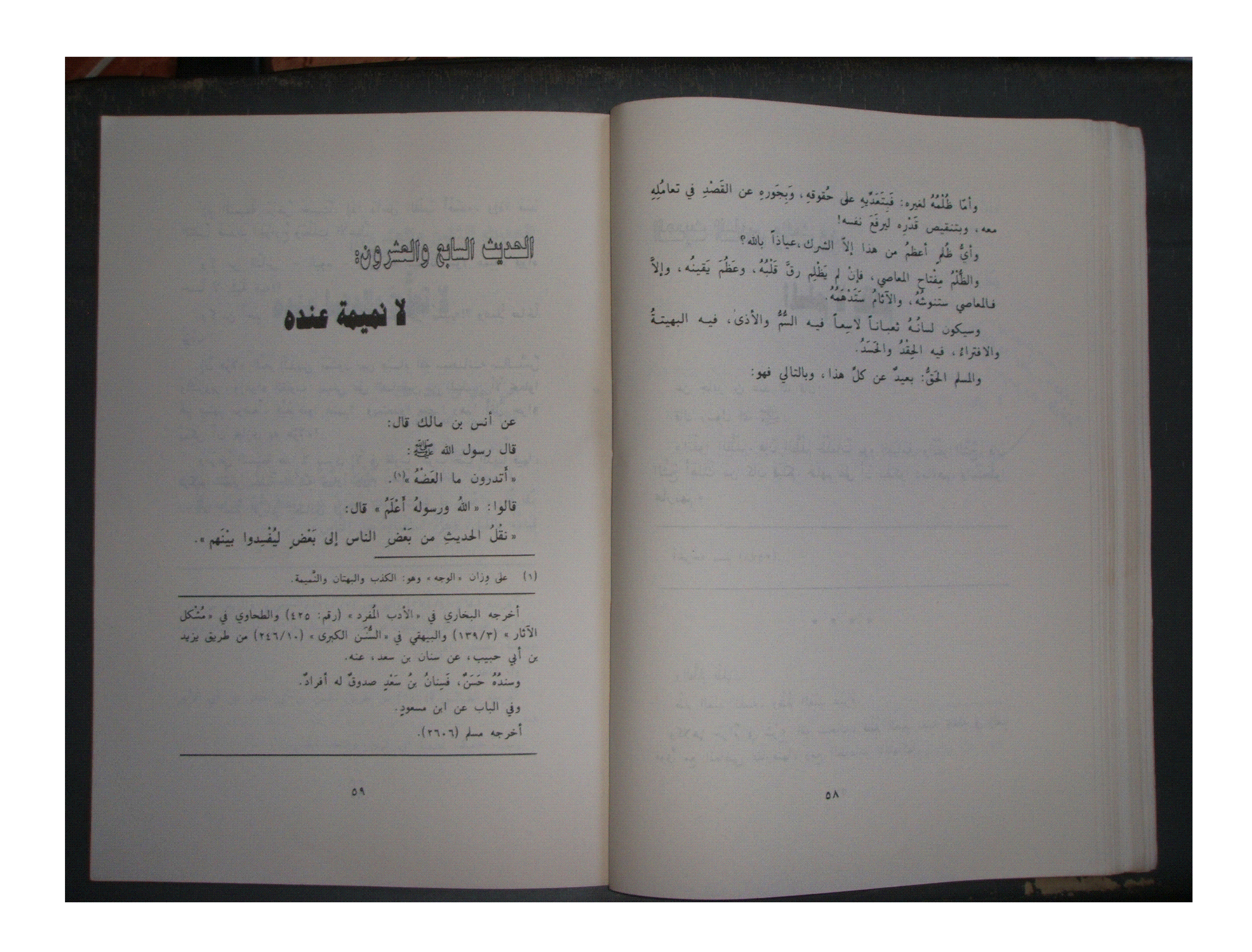
---

* * * *

والظُّلم ظُلمان:

ظُلم العَبْدِ نفسه، وظُلْمُ العَبْدِ غيْرَهُ.

وكلاهما حَرَامٌ في شَرْعِ اللهِ سبحانه، فَظُلْمُ العبدِ نفسه يجعله في إلْفٍ قويٍّ مع المعاصي بمقارفتها، ومع الطاعاتِ بانتهاكها.



وأمّا ظُلْمُهُ لغيره: فبتَعَدِّيه على حُقوقِهِ، وبِجَورِهِ عن القَصْدِ في تعامُلِهِ معه، وبتنقيص قَدْرِه ليرفَعَ نفسه!

وأيُّ ظُلمٍ أعظمُ من هذا إلاّ الشرك، عياذاً بالله؟

والظُّلْمُ مِفْتاح المعاصي، فإنْ لم يَظْلِم رقَّ قَلْبُهُ، وعَظُمَ يَقينُه، وإلاّ فالمعاصي ستنوشُهُ، والآثامُ ستَدْهَمُهُ.

وسيكون لسانُهُ ثعباناً لاسِعاً فيه السُّمُّ والأذى، فيه البهيتةُ والافتراءُ، فيه الحِقْدُ والحَسَدُ.

والمسلم الحَقُّ: بعيدٌ عن كلِّ هذا، وبالتالي فهو:

الحديث السابع والعشرون:

لا نميمة عنده

عن أنس بن مالك قال:

قال رسول الله ﷺ:

«أتدرون ما العَضْهُ»(١).

قالوا: «اللهُ ورسولهُ أعْلَمُ» قال:

«نقْلُ الحديثِ من بَعْضِ الناس إلى بَعْضٍ ليُفْسِدوا بينَهم».

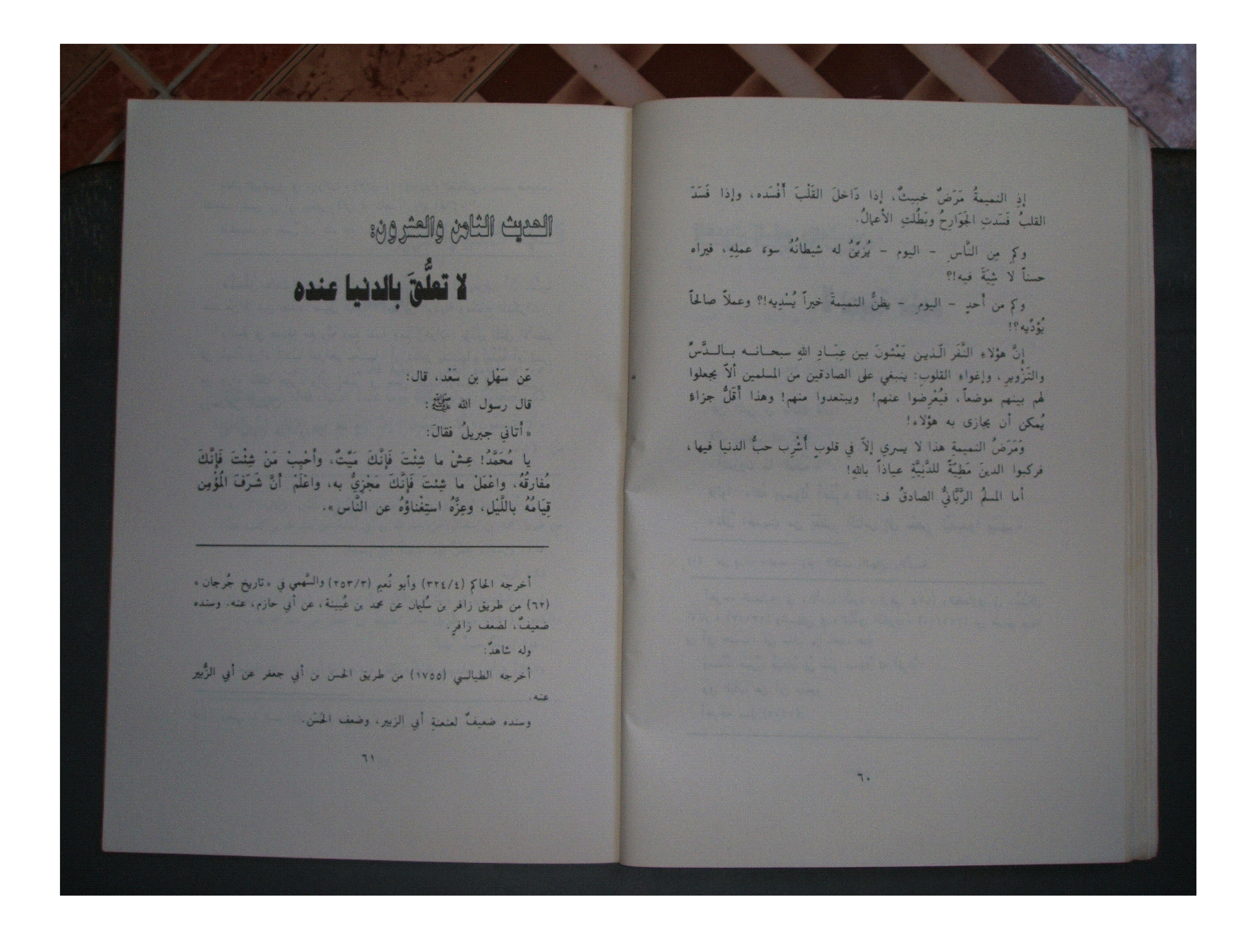
(١) على وِزان «الوجه» وهو: الكذب والبهتان والنَّميمة.

أخرجه البخاري في «الأدب المُفرد» (رقم: ٤٢٥) والطحاوي في «مُشْكل الآثار» (١٣٩/٣) والبيهقي في «السُّنن الكبرى» (٢٤٦/١٠) من طريق يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سعد، عنه.

وسندُهُ حَسَنٌ، فَسِنانُ بنُ سَعْدٍ صدوقٌ له أفرادٌ.

وفي الباب عن ابن مسعودٍ.

أخرجه مسلم (٢٦٠٦).



إذِ النميمةُ مَرَضٌ خبيثٌ، إذا دَاخلَ القَلْبَ أفْسَده، وإذا فَسَدَ القلبُ فَسَدتِ الجَوَارِحُ وبَطُلَتِ الأعمالُ.

وكَمْ مِنَ النَّاسِ - اليوم - يُزَيِّنُ له شيطانُهُ سوءَ عملِهِ، فيراه حسناً لا شِيَةَ فيه!؟

وكَم من أحدٍ - اليوم - يظنُّ النميمةَ خيراً يُسْدِيه!؟ وعملاً صالحاً يُؤدِّيه؟!

إنَّ هؤلاءِ النَّفَرَ الَّذين يَمْشُونَ بين عِبَادِ اللهِ سبحانه بالدَّسِّ والتَّزْوِيرِ، وإغواءِ القلوبِ: ينبغي على الصادقين من المسلمين ألاّ يجعلوا لهم بينهم موضعاً، فيُعْرِضوا عنهم! ويبتعدوا منهم! وهذا أقَلُّ جزاءٍ يُمكن أن يجازى به هؤلاء!

ومَرَضُ النميمةِ هذا لا يسري إلاّ في قلوبِ أُشْرِبَ حبُّ الدنيا فيها، فركبوا الدينَ مَطِيَّةً للدُّنْيَةِ عياذاً باللهِ!

أما المسلمُ الرَّبَّانِيُّ الصادقُ فـ:

الحديث الثامن والعشرون:

لا تعلُّقَ بالدنيا عنده

عَن سَهْلِ بن سَعْد، قال:

قال رسول الله ﷺ:

«أتاني جبريلُ فقالَ:

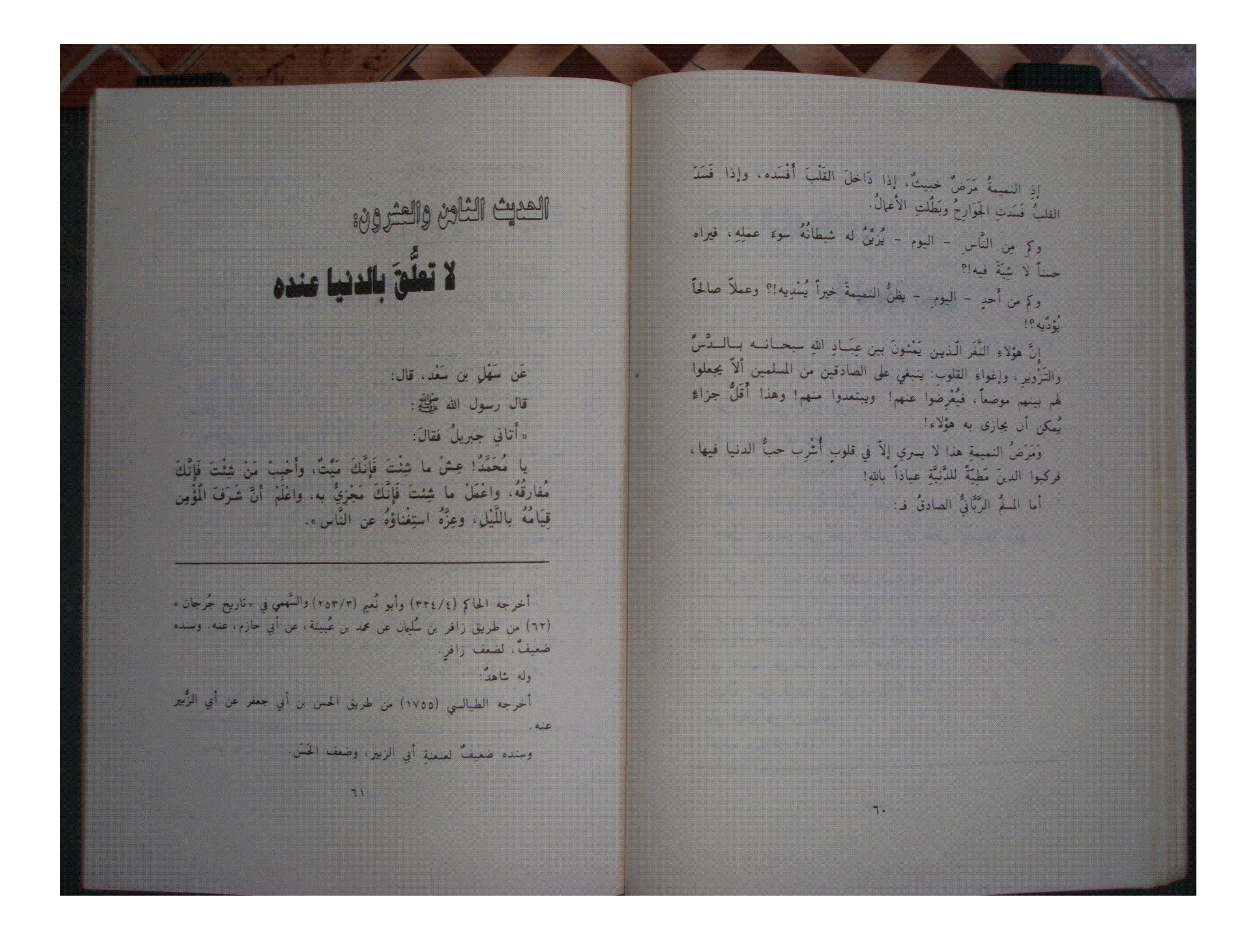
يا مُحَمَّدُ! عِشْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وأحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفارِقُهُ، واعْمَلْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ به، واعْلَمْ أنَّ شَرَفَ المُؤمِنِ قِيَامُهُ بالليل، وعِزُّهُ استِغْنَاؤهُ عن النَّاس».

أخرجه الحاكم (٤/٣٢٤) وأبو نُعيم (٣/٢٥٣) والسَّهمي في «تاريخ جُرجان» (٦٢) من طريق زافر بن سُليمان عن محمد بن عُيينة، عن أبي حازم، عنه. وسنده ضعيفٌ، لضعف زافر.

وله شاهدٌ:

أخرجه الطيالسي (١٧٥٥) من طريق الحسن بن أبي جعفر عن أبي الزُّبير عنه.

وسنده ضعيفٌ لعنعنةِ أبي الزبير، وضعف الحسَن.



إِنَّ النميمةُ مَرَضٌ خبيثٌ، إذا دَاخلَ القَلْبَ أَفْسَده، وإذا فَسَدَ القلبُ فَسَدتِ الجَوارِحُ وبَطُلَتِ الأعمالُ.

وكَمِ مِن النَّاسِ - اليوم - يُزيِّنُ له شيطانُهُ سوءَ عملِهِ، فيراه حسناً لا شِيَةَ فيه!؟

وكَم من أَحدٍ - اليومِ - يظنُّ النميمةَ خيراً يُسْدِيه!؟ وعملاً صالحاً يُؤدِّيه؟!

إِنَّ هؤلاءِ النَّفَرَ الّذين يَمْشونَ بين عِبَادِ اللهِ سبحانه بالدَّسِّ والتَزْويرِ، وإغواءِ القلوبِ: ينبغي على الصادقين من المسلمين ألاَّ يجعلوا لهم بينهم موضعاً، فيُعْرِضوا عنهم! ويبتعدوا منهم! وهذا أَقَلُّ جزاءٍ يُمكن أن يجازى به هؤلاء!

وَمَرَضُ النميمةِ هذا لا يسري إلاَّ في قلوبِ أُشْرِب حبُّ الدنيا فيها، فركبوا الدينَ مَطيَّةً للدُّنْيَةِ عياذاً باللهِ!

أما المسلمُ الرَّبَّانيُّ الصادقُ فـ:

الحديث الثامن والعشرون:

لا تعلُّقَ بالدنيا عنده

عَن سَهْلِ بن سَعْد، قال:

قال رسول الله ﷺ:

«أتاني جبريلُ فقالَ:

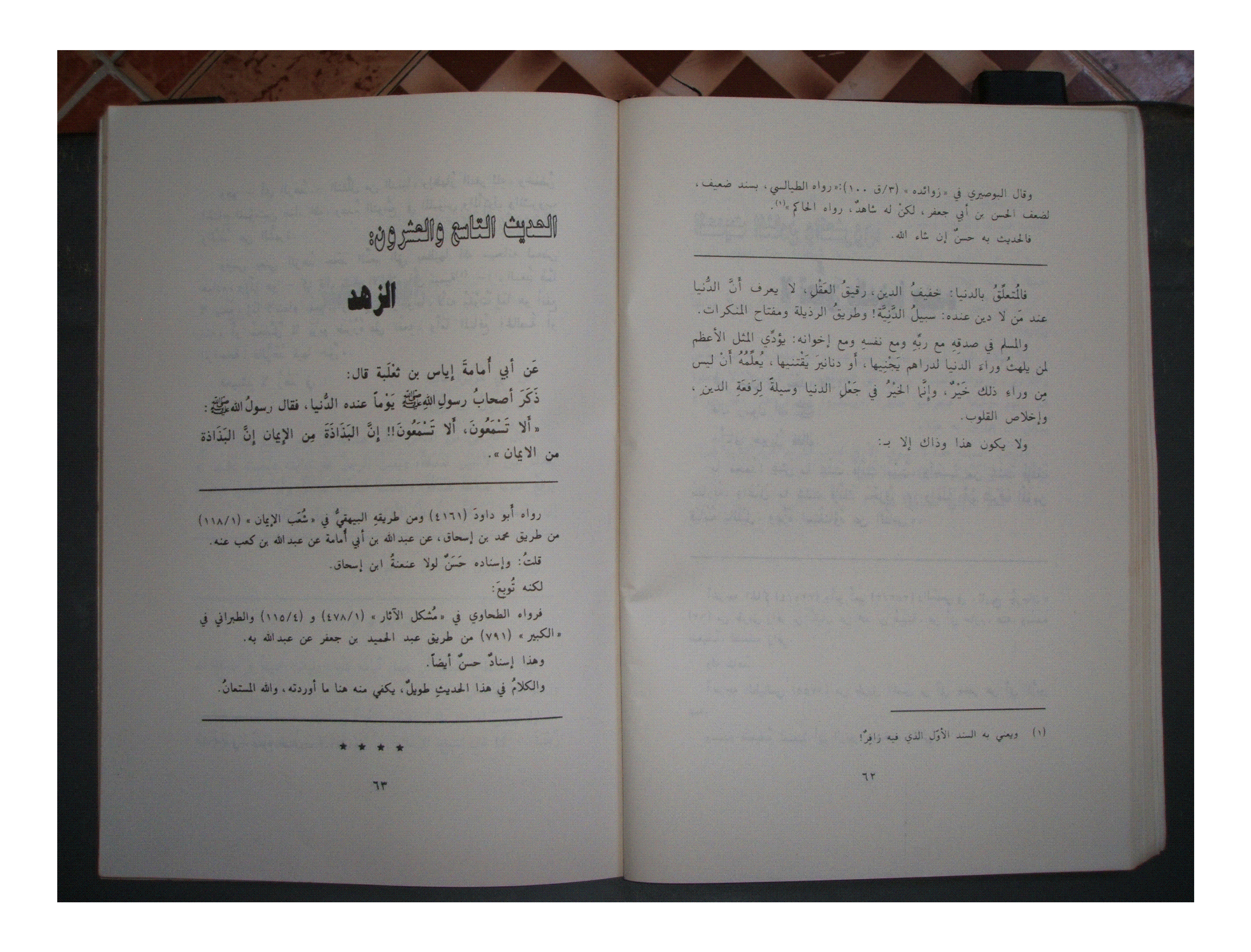
يا مُحَمَّدُ! عِشْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفارِقُهُ، واعْمَلْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ به، واعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ المُؤمِنِ قِيامُهُ بالليْلِ، وعِزَّهُ استِغْناؤُهُ عن النَّاس».

أخرجه الحاكم (٣٢٤/٤) وأبو نُعيم (٢٥٣/٣) والسَّهمي في «تاريخ جُرجان» (٦٢) من طريق زافر بن سُليمان عن محمد بن عُيينة، عن أبي حازم، عنه. وسنده ضعيفٌ، لضعف زافرٍ.

وله شاهدٌ:

أخرجه الطيالسي (١٧٥٥) من طريق الحسن بن أبي جعفر عن أبي الزُّبير عنه.

وسنده ضعيفٌ لعنعنةِ أبي الزبير، وضعف الحَسَن.



وقال البوصيري في «زوائده» (٣/ق ١٠٠): «رواه الطيالسي، بسند ضعيف، لضعف الحسن بن أبي جعفر، لكنْ له شاهدٌ، رواه الحاكم»[1].

فالحديث به حسنٌ إن شاء الله.

فالمُتعلِّقُ بالدنيا: خفيفُ الدينِ، رقيقُ العَقْلِ، لا يعرف أَنَّ الدُّنيا عند مَن لا دين عنده: سبيلُ الدَّنِيَّةِ! وطريقُ الرذيلة ومفتاح المنكرات.

والمسلم في صدقِهِ مع ربِّهِ ومع نفسِهِ ومع إخوانه: يؤدِّي المثل الأعظم لمن يلهثُ وراءَ الدنيا لدراهم يَجْنِيها، أو دنانيرَ يَقْتَنيها، يُعَلِّمُهُ أَنْ ليس مِن وراءِ ذلك خَيْرٌ، وإِنَّما الخيرُ في جَعْلِ الدنيا وسيلةً لِرِفعَةِ الدينِ، وإخلاص القلوب.

ولا يكون هذا وذاك إلا بـ:

(١) ويعني به السند الأوّل الذي فيه راوٍ مُبهَمٌ!

الحديث التاسع والعشرون:

الزهد

عَن أبي أُمامةَ إياس بن ثعْلَبة قال:

ذَكَرَ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ يَوْماً عنده الدُّنيا، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَلا تَسْمَعُونَ، أَلا تَسْمَعُونَ!! إنَّ البَذاذَةَ مِن الإيمان إنَّ البَذاذة من الايمان».

رواه أبو داودَ (٤١٦١) ومن طريقِهِ البيهقيُّ في «شُعَب الايمان» (١/١١٨) من طريق محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي أمامة عن عبد الله بن كعب عنه.

قلتُ: وإسناده حَسَنٌ لولا عنعنةُ ابن إسحاق.

لكنه تُوبِعَ:

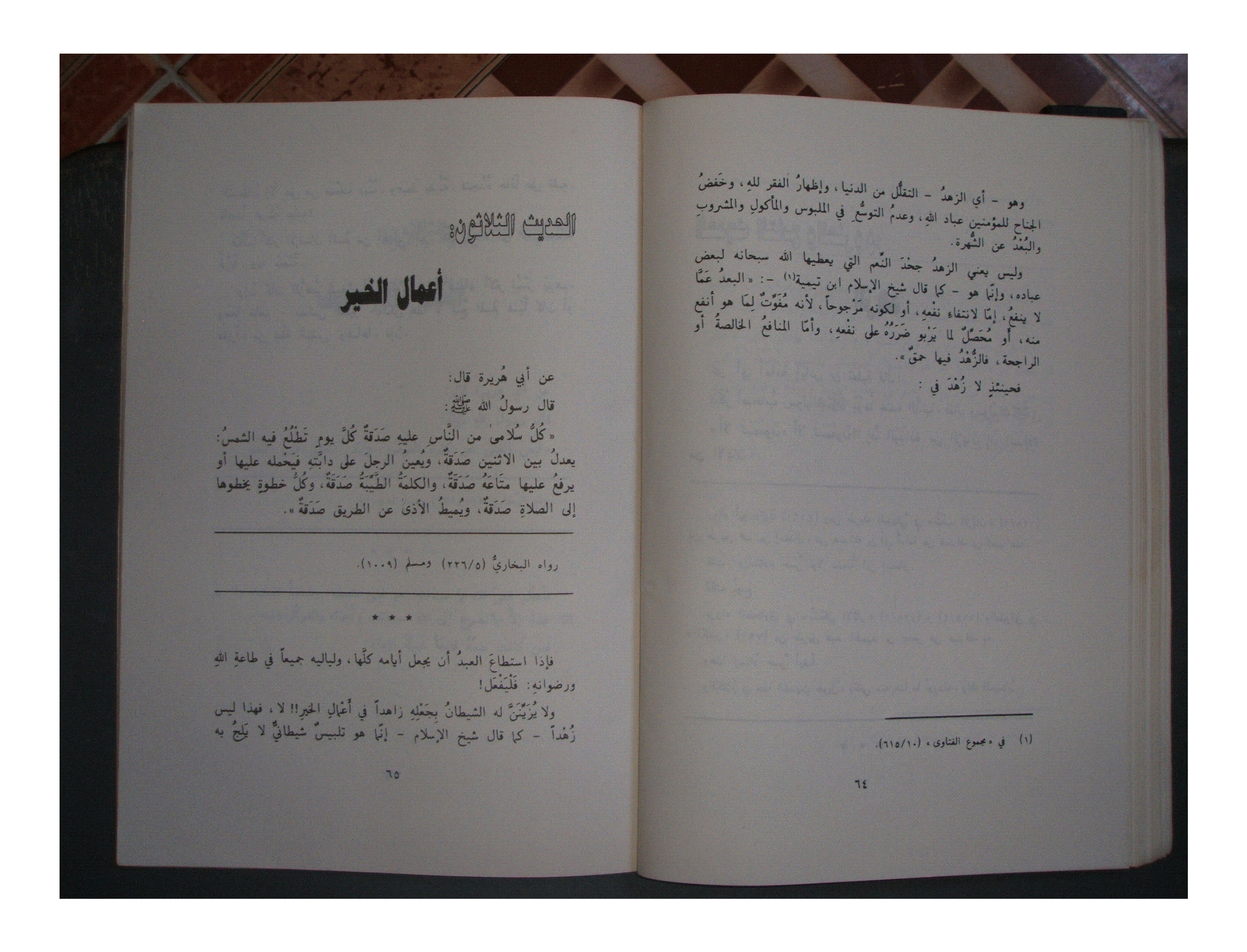
فرواه الطحاوي في «مُشكل الآثار» (١/٤٧٨) و (٤/١١٥) والطبراني في «الكبير» (٧٩١) من طريق عبد الحميد بن جعفر عن عبد الله به.

وهذا إسنادٌ حسنٌ أيضاً.

والكلامُ في هذا الحديثِ طويلٌ، يكفي منه هنا ما أوردته، والله المستعانُ.

---

* * * *



وهو - أي الزهدُ - التقلُّل من الدنيا، وإظهارُ الفقر للهِ، وخَفضُ الجناحِ للمؤمنين عباد اللهِ، وعدمُ التوسُّعِ في الملبوس والمأكولِ والمشروبِ والبُعْدُ عن الشُّهرة.

وليس يعني الزهدُ جحْدَ النِّعم التي يعطيها الله سبحانه لبعض عباده، وإنّما هو - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] -: «البعدُ عمَّا لا ينفعُ، إمّا لانتفاء نفعِهِ، أو لكونه مَرْجوحاً، لأنه مُفَوِّتٌ لِمَا هو أنفع منه، أو مُحَصِّلٌ لما يَرْبو ضَرَرُهُ على نفعِهِ، وأمّا المنافعُ الخالصةُ أو الراجحة، فالزُّهْدُ فيها حمقٌ».

فحينئذٍ لا زُهْدَ في:

(١) في «مجموع الفتاوى» (٦١٥/١٠).

الحديث الثلاثون:

أعمال الخير

عن أبي هُريرة قال:

قال رسولُ الله ﷺ:

«كُلُّ سُلامىٰ من النَّاسِ عليهِ صَدَقةٌ كُلَّ يومٍ تَطْلُعُ فيه الشمسُ: يعدلُ بين الاثنين صَدَقةٌ، ويُعينُ الرجلَ على دابَّتِهِ فيَحْمله عليها أو يرفعُ عليها متَاعَهُ صَدَقةٌ، والكلمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقةٌ، وكُلُّ خطوةٍ يخطوها إلى الصلاةِ صَدَقةٌ، ويُميطُ الأذىٰ عن الطريق صَدَقةٌ».

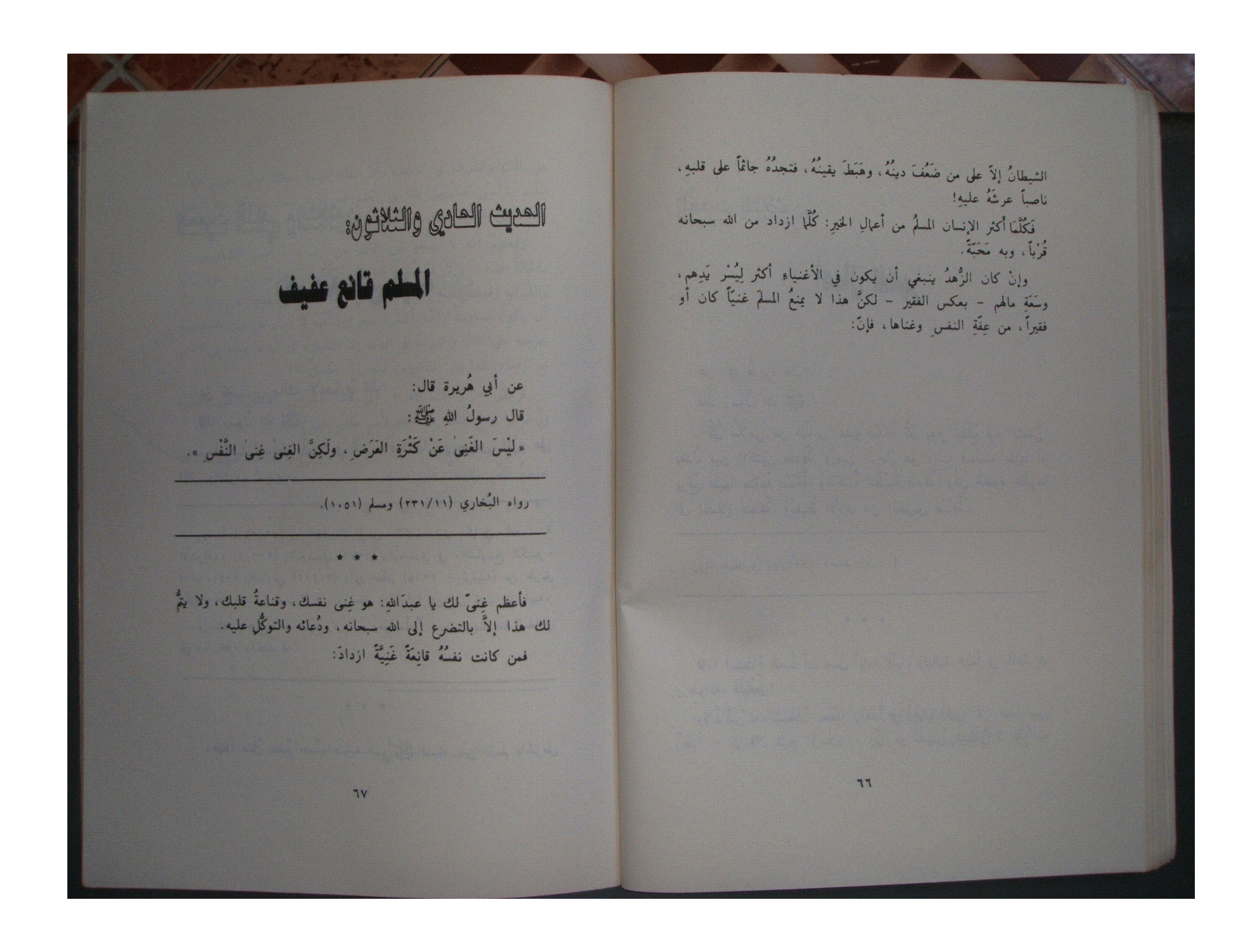
رواه البخاريُّ (٢٢٦/٥) ومسلم (١٠٠٩).

---

* * *

فإذا استطاعَ العبدُ أن يجعل أيامه كلَّها، ولياليه جميعاً في طاعةِ اللهِ ورضوانهِ: فَلْيَفْعَل!

ولا يُزَيِّنَنَّ له الشيطانُ بِجَعْلِهِ زاهداً في أَعْمالِ الخيرِ!! لا، فهذا ليس زُهْداً - كما قال شيخ الإسلام - إنّما هو تلبيسٌ شيطانيٌّ لا يَلِجُ به



الشيطانُ إلاّ على من ضَعُفَ دينُهُ، وهَبَطَ يقينُهُ، فتجدُهُ جاثماً على قلبِهِ، ناصباً عرشَهُ عليهِ!

فَكُلَّما أكثر الإنسان المسلمُ من أعمالِ الخيرِ: كُلَّما ازداد من الله سبحانه قُرْباً، وبه مَحَبَّةً.

وإنْ كان الزُّهدُ ينبغي أن يكون في الأغنياءِ أكثر لِيُسْرِ يَدِهِم، وسَعَةِ مالِهم - بعكس الفقير - لكنَّ هذا لا يمنعُ المسلمَ غنياً كان أو فقيراً، من عِفَّةِ النفسِ وغناها، فإنّ:

الحديث الحادي والثلاثون:

المسلم قانع عفيف

عن أبي هُريرة قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، ولَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ».

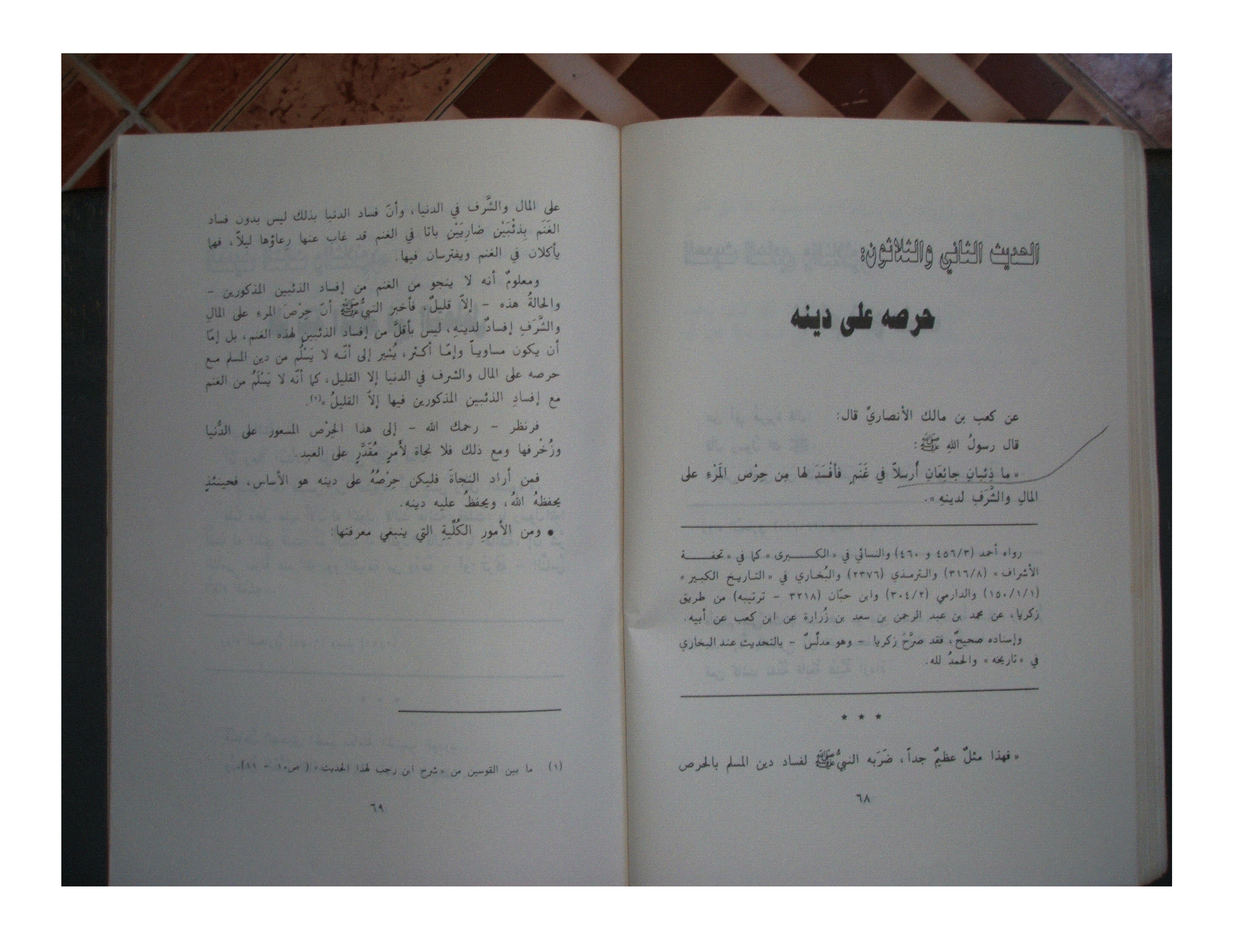
رواه البُخاري (١١/٢٣١) ومسلم (١٠٥١).

---

* * *

فأعظم غِنىً لك يا عبدَاللهِ: هو غِنى نفسك، وقناعةُ قلبك، ولا يتمُّ لك هذا إلاَّ بالتضرع إلى الله سبحانه، ودُعائه والتوكُّلِ عليه.

فمن كانت نفسُهُ قانِعَةً غَنِيَّةً ازدادَ:



الحديث الثاني والثلاثون:

حرصه على دينه

عن كعب بن مالك الأنصاريِّ قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«ما ذِئبانِ جائِعانِ أُرسلاً في غَنَمٍ فأفْسَدَ لها مِن حِرْصِ المَرْءِ على المالِ والشَّرَفِ لدينِهِ».

رواه أحمد (٣/٤٥٦ و ٤٦٠) والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٨/٣١٦) والترمذي (٢٣٧٦) والبُخاري في «التاريخ الكبير» (١/١/١٥٠) والدارمي (٢/٣٠٤) وابن حبّان (٣٢١٨ - ترتيبه) من طريق زكريا، عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة عن ابن كعب عن أبيه.

وإسناده صحيحٌ، فقد صرَّحَ زكريا - وهو مدلِّسٌ - بالتحديث عند البخاري في «تاريخه» والحمدُ لله.

---

* * *

«فهذا مثلٌ عظيمٌ جداً، ضَرَبه النبيُّ ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص

على المال والشَّرف في الدنيا، وأنَّ فساد الدنيا بذلك ليس بدون فساد الغَنَم بِذِئْبَيْنِ ضارِيَيْنِ باتا في الغنم قد غاب عنها رِعاؤها ليلاً، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها.

ومعلومٌ أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين - والحالةُ هذه - إلاّ قليلٌ، فأخبر النبيُّ ﷺ أنَّ حِرْصَ المرء على المالِ والشَّرَفِ إفسادٌ لدينِهِ، ليس بأقلَّ من إفساد الذئبينِ لهذه الغنم، بل إمّا أن يكون مساوياً وإمّا أكثر، يُشير إلى أنّه لا يَسْلَمُ من دينِ المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل، كما أنّه لا يَسْلَمُ من الغنم مع إفسادِ الذئبين المذكورين فيها إلاّ القليلُ»[1].

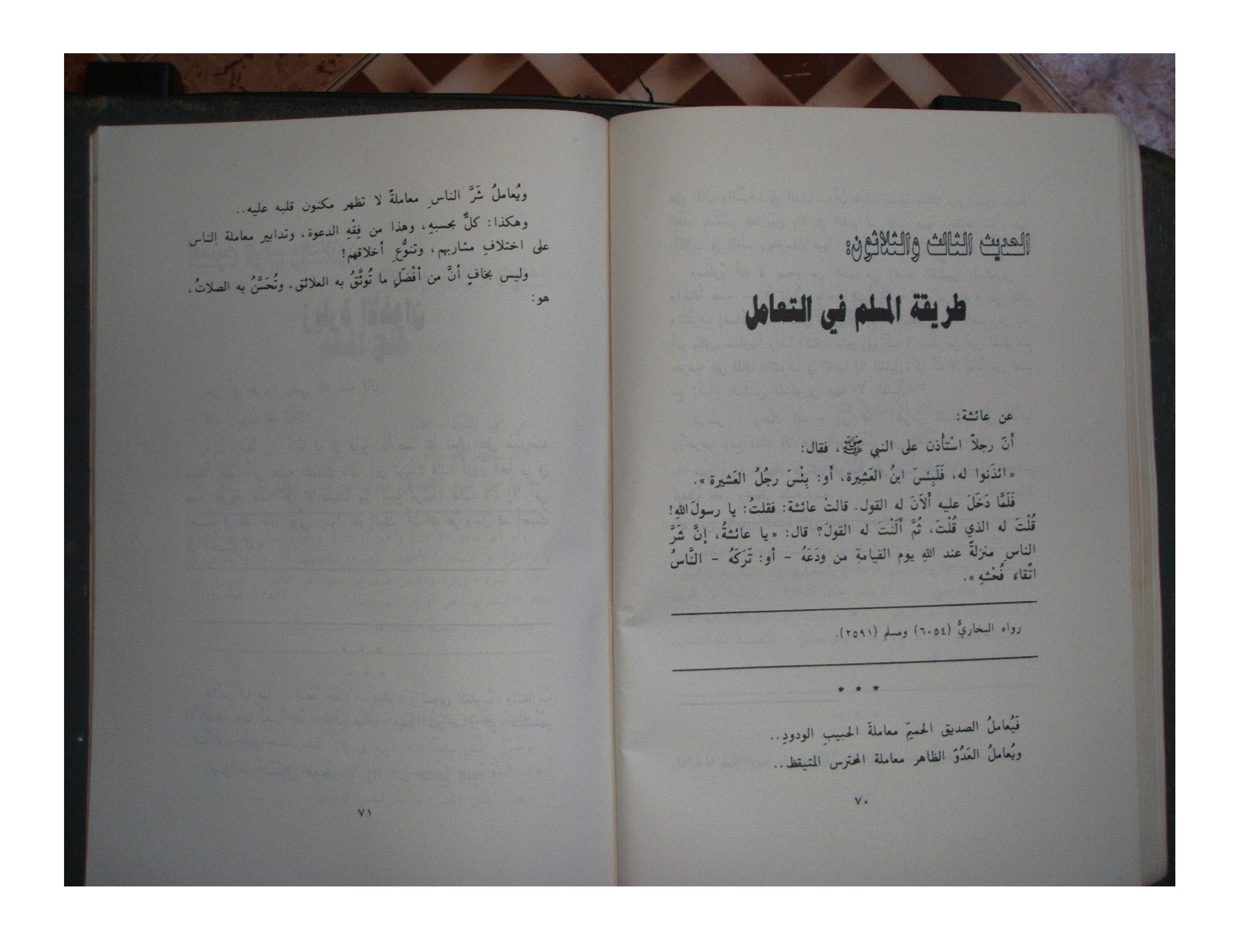
فانظر - رحمك الله - إلى هذا الحِرْص المسعور على الدُّنيا وزُخْرفها ومع ذلك فلا نجاة لأمرٍ مُقَدَّرٍ على العبد.

فمن أراد النجاةَ فليكن حِرْصُهُ على دينه هو الأساس، فحينئذٍ يحفظهُ اللهُ، ويحفظُ عليه دينه.

• ومن الأمورِ الكُلّيةِ التي ينبغي معرفتها:

---

(١) ما بين القوسين من «شرح ابن رجب لهذا الحديث» (ص١٠ - ١١).



الحديث الثالث والثلاثون:

طريقة المسلم في التعامل

عن عائشة:

أَنّ رجلاً استأذن على النبي ﷺ، فقال:

«ائذَنوا له، فَلَبِئسَ ابنُ العَشِيرة، أو: بِئسَ رجُلُ العَشيرة».

فَلَمَّا دَخَلَ عليه أَلاَنَ له القول. قالتْ عائشة: فقلتُ: يا رسولَ اللهِ! قُلْتَ له الذي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ له القولَ؟ قال: «يا عائشةُ، إنَّ شَرَّ الناسِ منزلةً عند اللهِ يوم القيامةِ من ودَعَهُ - أو: تَرَكَهُ - النَّاسُ اتِّقاءَ فُحْشِهِ».

رواه البخاريُّ (٦٠٥٤) ومسلم (٢٥٩١).

---

* * *

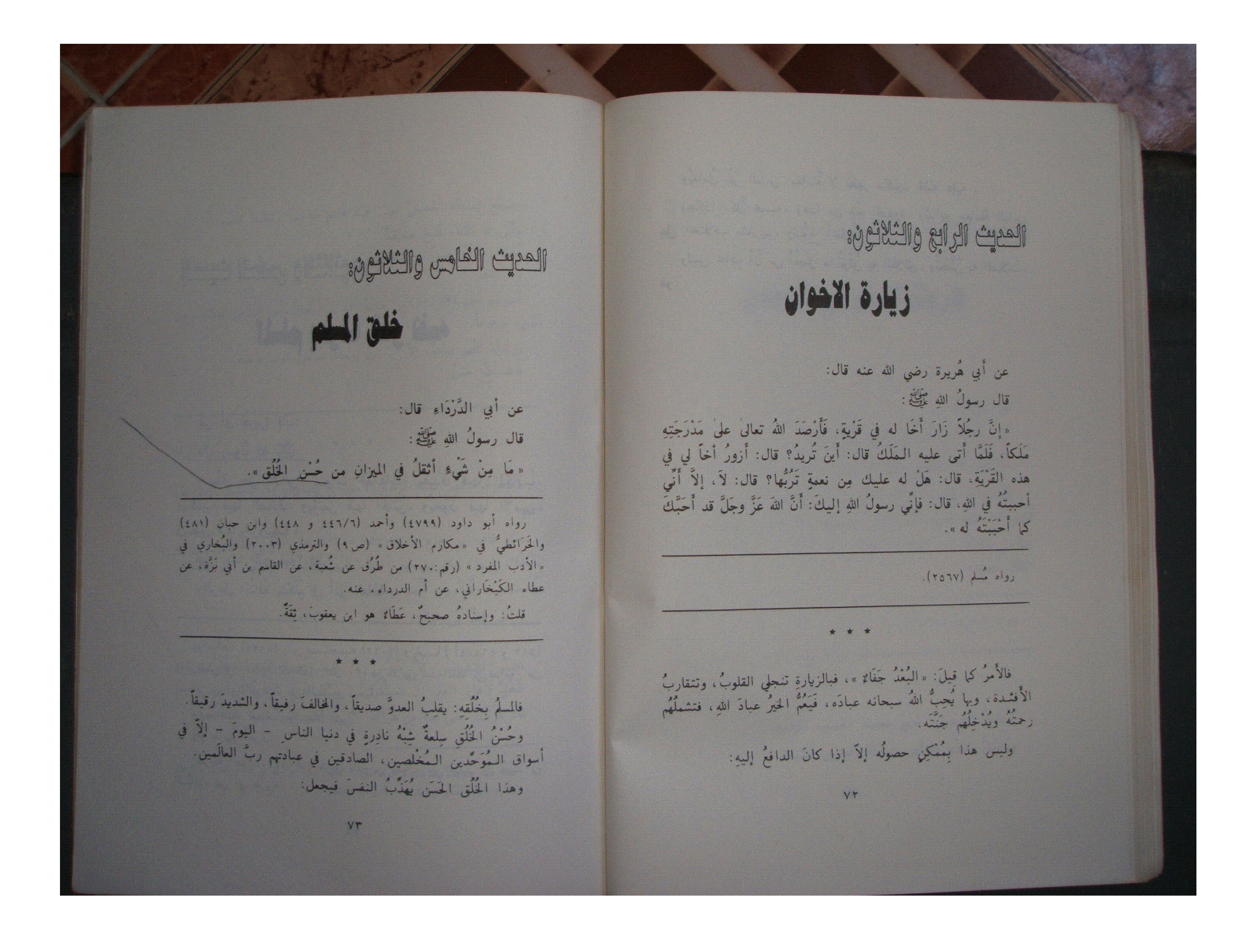
فَيُعاملُ الصديقَ الحميمَ معاملةَ الحبيبِ الودودِ..

ويُعاملُ العَدُوَّ الظاهر معاملةَ المحترس المتيقظ..

ويُعاملُ شَرَّ الناسِ معاملةً لا تظهر مكنون قلبه عليه..

وهكذا: كلٌّ بحسبِهِ، وهذا من فِقْهِ الدعوة، وتدابير معاملة الناس على اختلافِ مشاربهم، وتنوُّعِ أخلاقهم!

وليس بخافٍ أنَّ من أفضَلِ ما تُوثَّقُ به العلائق، وتُحَسَّنُ به الصلاتُ، هو:



الحديث الرابع والثلاثون:

زيارة الاخوان

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«إنَّ رجُلاً زَارَ أَخًا له في قَرْيةٍ، فَأَرْصَدَ اللهُ تعالىٰ على مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً، فلمَّا أتى عليه المَلَكُ قال: أينَ تُريدُ؟ قال: أزورُ أخاً لي في هذه القَرْيَةِ، قال: هَلْ له عليك مِن نعمةٍ تَرُبُّها؟ قال: لاَ، إلاَّ أنّي أحببتُهُ في اللهِ، قال: فإنّي رسولُ اللهِ إليكَ: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد أحبَّكَ كما أحْبَبْتَهُ له».

رواه مُسلم (٢٥٦٧).

---

* * *

فالأمرُ كما قيلَ: «البُعْدُ جَفَاءٌ»، فبالزيارةِ تنجلي القلوبُ، وتتقاربُ الأفئدة، وبها يُحِبُّ اللهُ سبحانه عبادَه، فَيَعُمُّ الخيرُ عبادَ اللهِ، فتشملُهُم رحمتُهُ ويُدْخِلُهُم جَنَّتَه.

وليس هذا بِمُمْكِنٍ حصولُه إلاّ إذا كانَ الدافعُ إليهِ:

الحديث الخامس والثلاثون:

خلق المسلم

عن أبي الدَّرْدَاءِ قال:

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

«مَا مِنْ شَيْءٍ أثقلُ في الميزانِ من حُسْنِ الخُلُق».

رواه أبو داود (٤٧٩٩) وأحمد (٦/٤٤٦ و ٤٤٨) وابن حبان (٤٨١) والخَرَائطيُّ في «مكارم الأخلاق» (ص ٩) والترمذي (٢٠٠٣) والبُخاري في «الأدب المفرد» (رقم: ٢٧٠) من طُرُق عن شُعبة، عن القاسم بن أبي بَزَّة، عن عطاء الكَيْخَاراني، عن أم الدرداء، عنه.

قلتُ: وإسنادُهُ صحيحٌ، عَطَاءٌ هو ابن يعقوبَ، ثِقَةٌ.

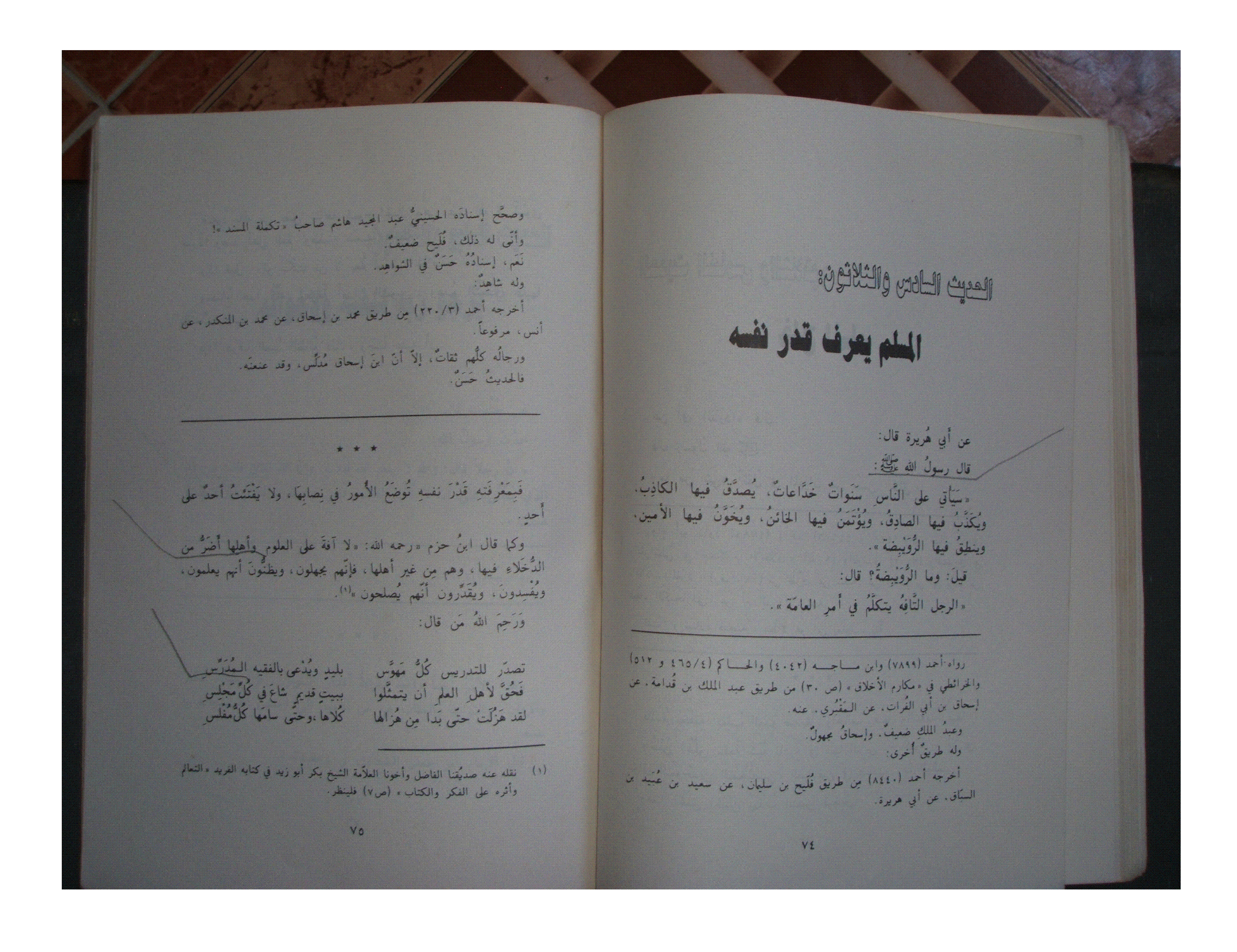
---

* * *

فالمسلمُ بِخُلُقِهِ: يقلِبُ العدوَّ صديقاً، والمخالفَ رفيقاً، والشديدَ رقيقاً.

وحُسْنُ الخُلُقِ سِلعةٌ شِبْهُ نادِرةٍ في دنيا الناسِ - اليومَ - إلاّ في أسواق المُوَحِّدين المُخْلصين، الصادقين في عبادتهم ربَّ العالَمين.

وهذا الخُلُق الحَسَن يُهَذِّبُ النفسَ فيجعل:



الحديث السادس والثلاثون:

المسلم يعرف قدر نفسه

عن أبي هُريرة قال:

قال رسولُ الله ﷺ:

«سيأتي على النّاسِ سَنواتٌ خدّاعاتٌ، يُصدَّقُ فيها الكاذِبُ، ويُكذَّبُ فيها الصادِقُ، ويُؤتَمَنُ فيها الخائنُ، ويُخوَّنُ فيها الأمين، وينطِقُ فيها الرُّوَيْبِضة».

قيلَ: وما الرُّوَيْبِضةُ؟ قال:

«الرجل التّافِهُ يتكلّمُ في أمرِ العامّة».

رواه أحمد (٧٨٩٩) وابن ماجه (٤٠٤٢) والحاكم (٤/٤٦٥ و ٥١٢) والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص ٣٠) من طريق عبد الملك بن قُدامة، عن إسحاق بن أبي الفُرات، عن المَقْبُري، عنه.

وعبدُ الملكِ ضعيفٌ. وإسحاقُ مجهولٌ.

وله طريقٌ أُخرى:

أخرجه أحمد (٨٤٤٠) مِن طريق فُلَيح بن سليمان، عن سعيد بن عُبَيد بن السبّاق، عن أبي هريرة.

وصحّح إسنادَه الحسينيُّ عبد المجيد هاشم صاحبُ «تكملة المسند»!

وأنّى له ذلك، فُلَيح ضعيفٌ.

نَعَم، إسنادُهُ حَسَنٌ في الشواهِد.

وله شاهِدٌ:

أخرجه أحمد (٣/٢٢٠) مِن طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن المنكدر، عن أنس، مرفوعاً.

ورجالُه كلُّهم ثقاتٌ، إلاّ أنّ ابنَ إسحاق مُدلِّس، وقد عنعنَه.

فالحديثُ حَسَنٌ.

---

* * *

فَبِمَعْرِفَتِهِ قَدْرَ نفسِهِ تُوضَعُ الأمورُ في نِصابِهَا، ولا يَفْتَئِتُ أحدٌ على أحدٍ.

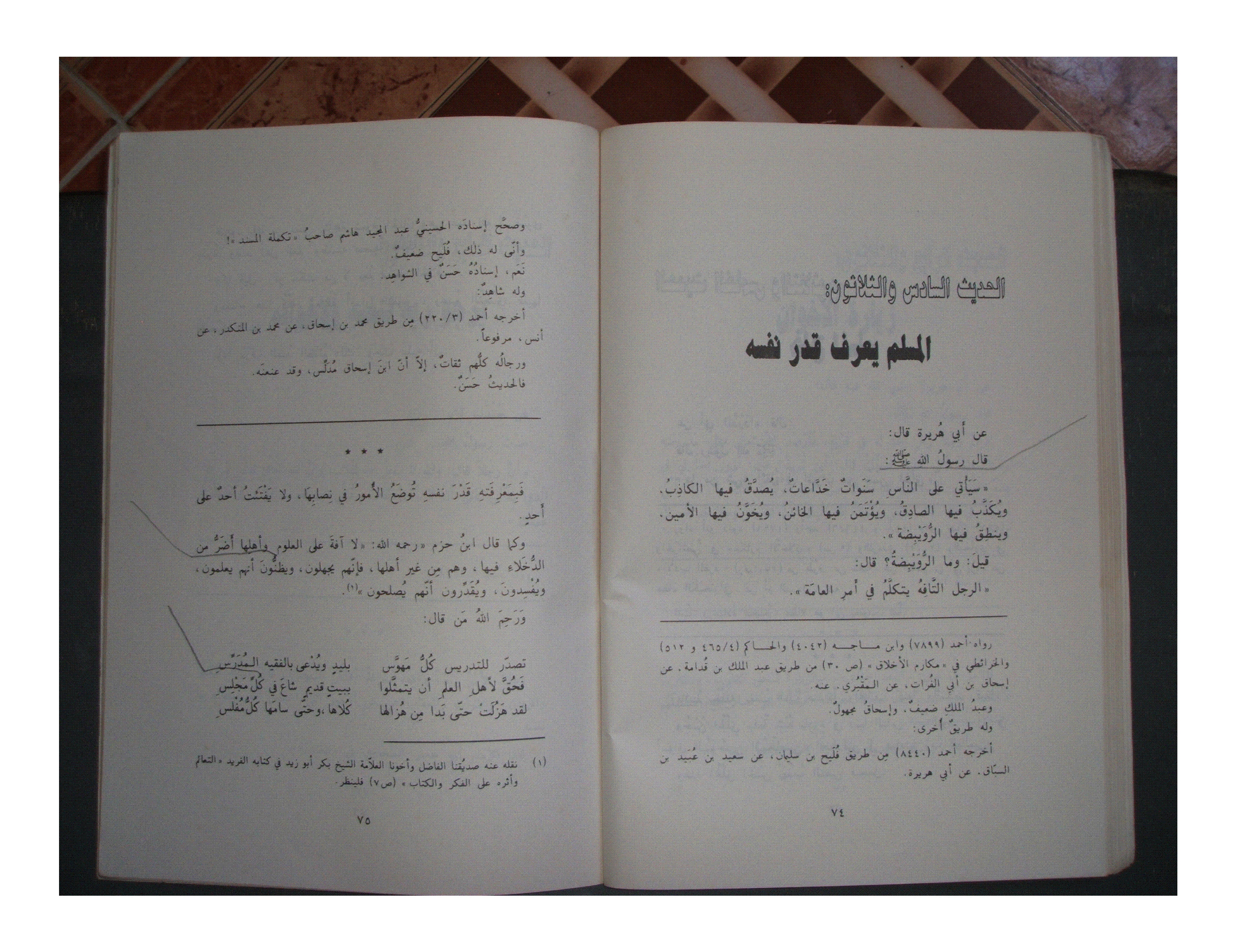
وكما قال ابنُ حزم رحمه الله: «لا آفةَ على العلوم وأهلها أَضَرُّ من الدُّخَلاءِ فيها، وهم مِن غير أهلها، فإنّهم يجهلون، ويظنّونَ أنهم يعلمون، ويُفْسِدونَ، ويُقدِّرون أنّهم يُصلحون»(1).

ورَحِمَ اللهُ مَن قال:

تصدّرَ للتدريس كُلُّ مهوَّسٍ ... بليدٍ ويُدْعى بالفقيه المُدَرِّسِ
فَحُقَّ لأهلِ العلمِ أن يتمثّلوا ... ببيتٍ قديمٍ شاعَ في كلِّ مَجْلِسِ
لقد هَزُلَتْ حتّى بَدا مِن هُزالها ... كُلاها ،وحتّى سامَها كُلُّ مُفْلِسِ

---

(1) نقله عنه صديقُنا الفاضل وأخونا العلاّمة الشيخ بكر أبو زيد في كتابه الفريد «التعالم وأثره على الفكر والكتاب» (ص٧) فلينظر.



الحديث السادس والثلاثون:

المسلم يعرف قدر نفسه

عن أبي هُريرة قال:

قال رسولُ الله ﷺ:

«سيأتي على النَّاسِ سَنواتٌ خَدَّاعاتٌ، يُصدَّقُ فيها الكاذِبُ، ويُكَذَّبُ فيها الصادِقُ، ويُؤْتَمنُ فيها الخائنُ، ويُخَوَّنُ فيها الأمين، وينطِقُ فيها الرُّوَيْبِضة».

قيلَ: وما الرُّوَيْبِضةُ؟ قال:

«الرجل التَّافِهُ يتكلَّمُ في أمرِ العامّة».

رواه أحمد (٧٨٩٩) وابن ماجه (٤٠٤٢) والحاكم (٤/٤٦٥ و ٥١٢) والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص ٣٠) من طريق عبد الملك بن قُدامة، عن إسحاق بن أبي الفُرات، عن المَقْبُري، عنه.

وعبدُ الملكِ ضعيفٌ، وإسحاقُ مجهولٌ.

وله طريقٌ أخرى:

أخرجه أحمد (٨٤٤٠) مِن طريق فُلَيح بن سليمان، عن سعيد بن عُبَيد بن السبّاق، عن أبي هريرة.

وصحَّح إسنادَه الحسينيُّ عبد المجيد هاشم صاحبُ «تكملة المسند»!

وأنَّى له ذلك، فُلَيح ضعيفٌ.

نَعَم، إسنادُهُ حَسَنٌ في الشواهِد.

وله شاهِدٌ:

أخرجه أحمد (٣/٢٢٠) مِن طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن المنكدر، عن أنس، مرفوعاً.

ورجالُه كلُّهم ثقاتٌ، إلاّ أنَّ ابنَ إسحاق مُدلِّسٌ، وقد عنعنَه.

فالحديثُ حَسَنٌ.

---

* * *

فَبِمَعْرِفَتِهِ قَدْرَ نفسِهِ تُوضَعُ الأُمورُ في نِصابِهَا، ولا يَفْتَئِتُ أحدٌ على أحدٍ.

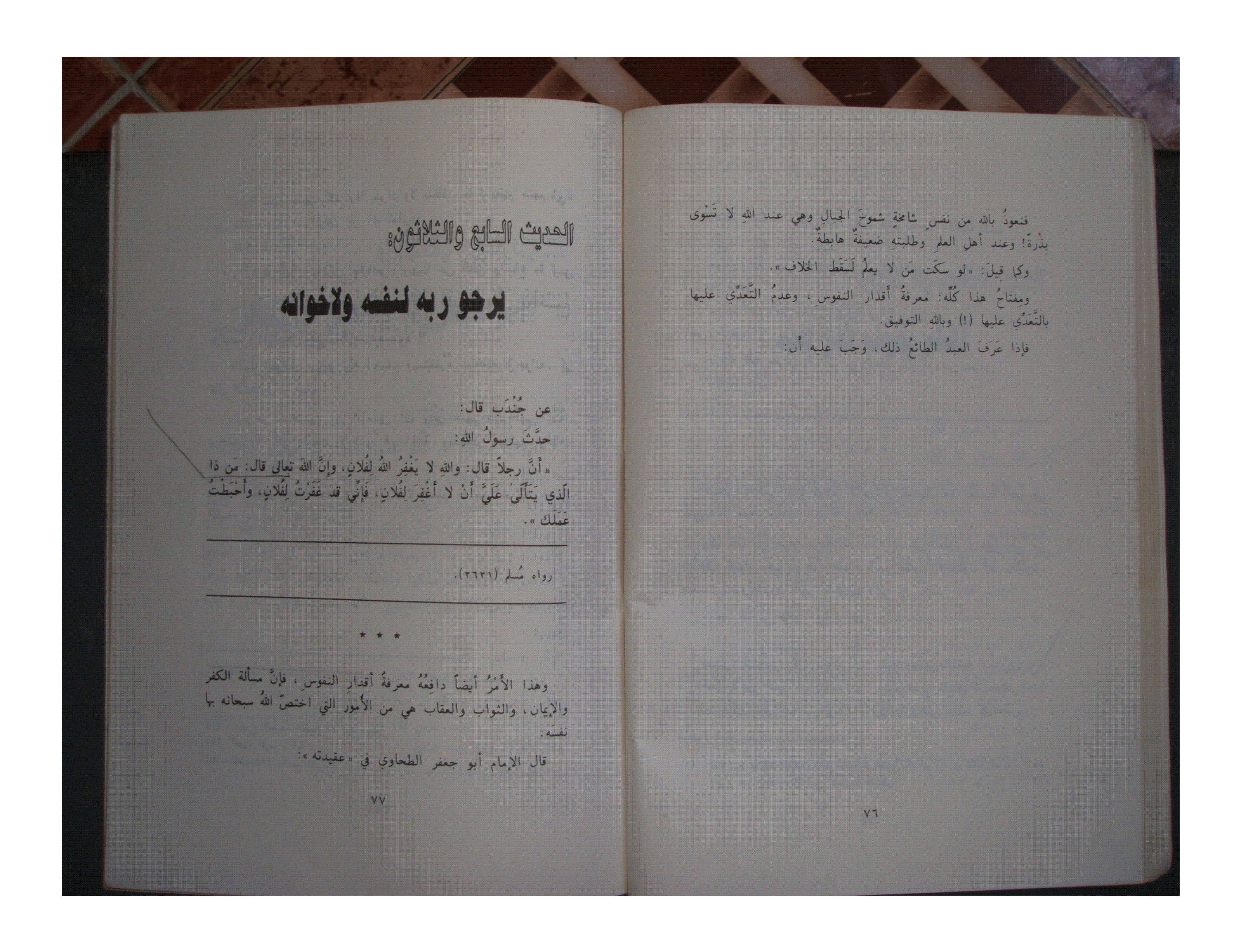
وكما قال ابنُ حزم «رحمه الله: «لا آفةَ على العلوم وأهلِها أضرُّ من الدُّخَلاءِ فيها، وهم مِن غيرِ أهلها، فإنَّهم يجهلون، ويظنُّونَ أنهم يعلمون، ويُفسِدونَ، ويُقدِّرون أنَّهم يُصلحون»[1].

وَرَحِمَ اللهُ مَن قال:

تصدَّرَ للتدريس كُلُّ مهوَّسٍ ... بليدٍ ويُدْعى بالفقيه المُدَرِّسِ
فَحُقَّ لأهلِ العلمِ أن يتمثَّلوا ... ببيتٍ قديمٍ شاعَ في كلِّ مَجْلِسِ
لقد هَزُلَتْ حتّى بَدا مِن هُزالها ... كُلاها، وحتّى سامَها كلُّ مُفْلِسِ

---

(١) نقله عنه صديقُنا الفاضل وأخونا العلاّمة الشيخ بكر أبو زيد في كتابه الفريد «التعالم وأثره على الفكر والكتاب» (ص٧) فلينظر.



فنعوذُ بالله من نفسٍ شامخةٍ شموخَ الجبالِ وهي عند اللهِ لا تَسْوى بِذْرةً! وعند أهلِ العلمِ وطلبتهِ ضعيفةٌ هابطةٌ.

وكما قِيلَ: «لو سكَتَ مَن لا يعلمُ لَسَقَطَ الخلاف».

ومِفتاحُ هذا كُلِّه: معرفةُ أقدارِ النفوسِ، وعدمُ التَّعَدِّي عليها بالتَّعَدِّي عليها (!) وباللهِ التوفيق.

فإذا عَرَفَ العبدُ الطائعُ ذلك، وَجَبَ عليه أن:

الحديث السابع والثلاثون:

يرجو ربه لنفسه ولاخوانه

عن جُنْدَب قال:

حدَّثَ رسولُ اللهِ:

«أنَّ رجلاً قال: واللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ، وإنَّ اللهَ تعالى قال: مَن ذا الّذي يَتَأَلّى عَلَيَّ أنْ لا أغْفِرَ لِفُلانٍ، فَإنّي قد غَفَرْتُ لِفُلانٍ، وأَحْبَطْتُ عَمَلَك».

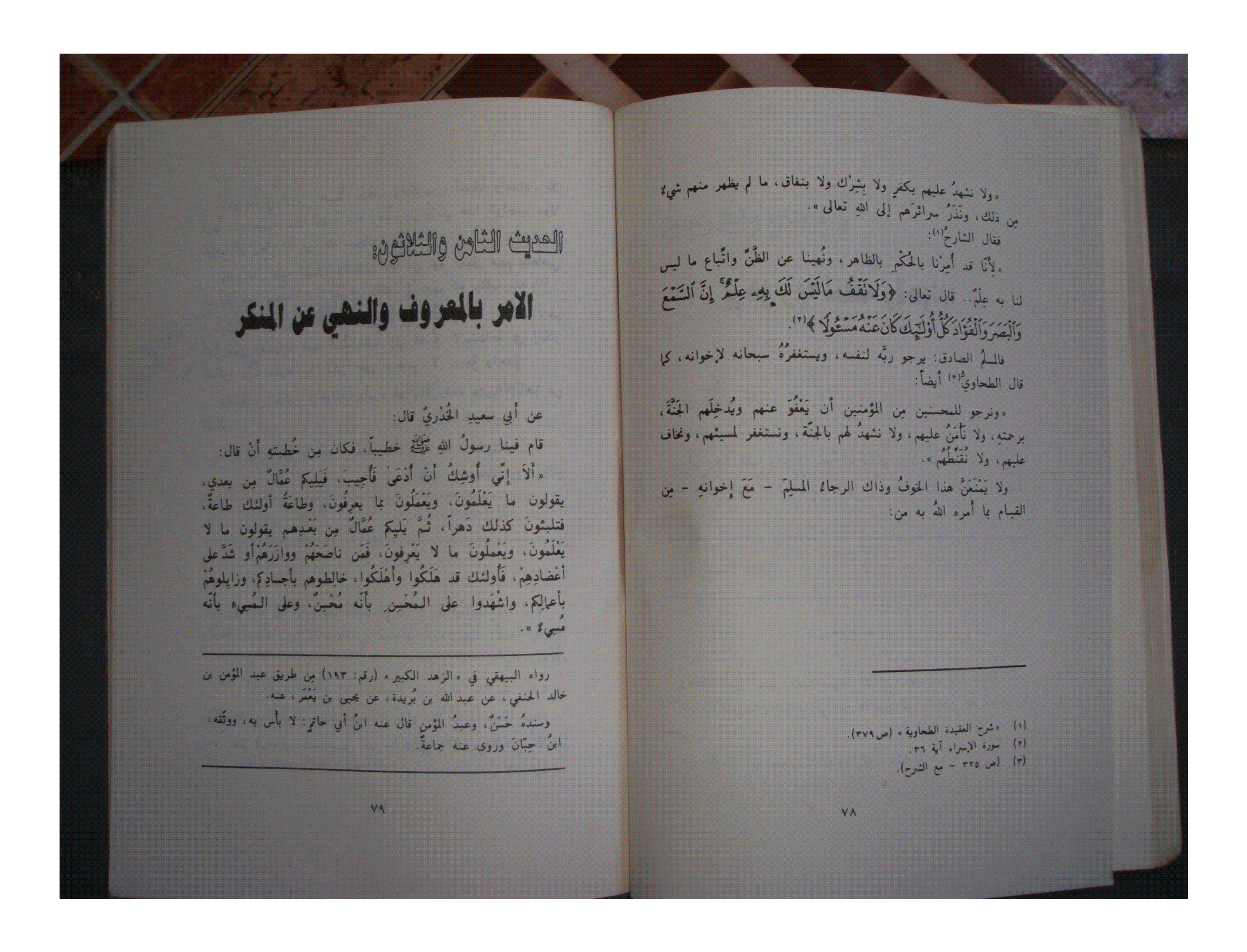
رواه مُسلم (٢٦٢١).

---

* * *

وهذا الأمْرُ أيضاً دافِعُهُ معرفةُ أقدارِ النفوسِ، فإنَّ مسألة الكفر والإيمان، والثواب والعقاب هي من الأُمور التي اختصَّ اللهُ سبحانه بها نفسَه.

قال الإمام أبو جعفر الطحاويِ في «عقيدته»:



«ولا نشهدُ عليهم بكفرٍ ولا بِشِرْك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيءٌ مِن ذلك، ونَذَرُ سرائرَهم إلى اللهِ تعالى».

فقال الشارحُ[1]:

«لِأنّا قد أُمِرْنا بالحُكمِ بالظاهر، ونُهينا عن الظَّنِّ واتِّباع ما ليس لنا به عِلْمٌ.. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[2].

فالمسلمُ الصادق: يرجو ربَّه لنفسه، ويستغفرُهُ سبحانه لإخوانه، كما قال الطحاويُّ[3] أيضاً:

«ونرجو للمحسنين مِن المؤمنين أن يَعْفُوَ عنهم ويُدخِلَهم الجَنَّةَ، برحمتِهِ، ولا نَأْمَنُ عليهم، ولا نشهدُ لهم بالجنّة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نُقَنِّطُهُمْ».

ولا يَمْنَعَنَّ هذا الخوفُ وذاك الرجاءُ المسلِمَ - مَعَ إخوانهِ - مِن القيام بما أمره اللهُ به من:

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٣٧٩).
(٢) سورة الإسراء آية ٣٦.
(٣) (ص ٣٢٥ - مع الشرح).

الحديث الثامن والثلاثون:

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

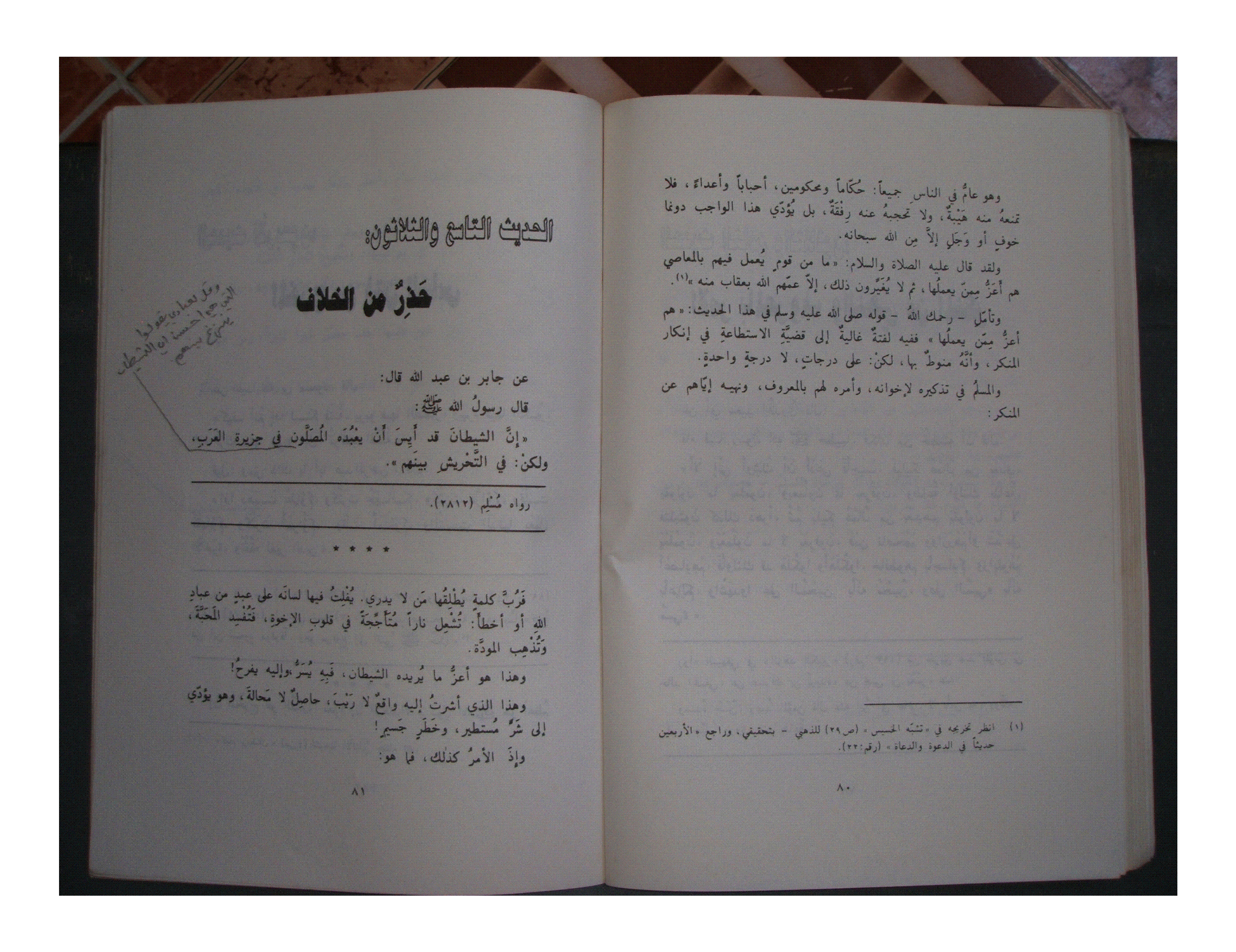
عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ قال:

قام فينا رسولُ اللهِ ﷺ خطيباً. فكان مِن خُطبتِهِ أَنْ قال:

«أَلَا إنّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ، فَيَلِيكم عُمَّالٌ مِن بعدي، يقولون ما يَعْلَمُونَ، ويَعْمَلُونَ بما يعرِفُونَ، وطاعةُ أولئك طاعةٌ، فتلبثونَ كذلك دَهراً، ثُمَّ يَلِيكم عُمَّالٌ مِن بَعْدِهم يقولون ما لا يَعْلَمُونَ، ويَعْمَلُونَ ما لا يَعْرِفونَ، فَمَن ناصَحَهُمْ ووازَرَهُمْ أو شَدَّ على أعضادِهِمْ، فَأُولئك قد هَلَكُوا وأَهْلَكُوا، خالِطوهم بأجسادِكم، وزايِلوهُمْ بأعمالِكم، واشهَدوا على المُحْسِنِ بأنّه مُحْسِنٌ، وعلى المُسِيءِ بأنّه مُسِيءٌ».

رواه البيهقي في «الزهد الكبير» (رقم: ١٩٣) مِن طريق عبد المؤمن بن خالد الحنفي، عن عبد الله بن بُريدة، عن يحيى بن يَعْمَر، عنه.

وسندهُ حَسَنٌ، وعبدُ المؤمنِ قال عنه ابنُ أبي حاتم: لا بأس به، ووثّقه ابنُ حِبّانَ وروى عنه جماعةٌ.



وهو عامٌّ في الناسِ جميعاً: حُكّاماً ومحكومين، أحباباً وأعداءً، فلا تمنعهُ منه هَيْبَةٌ، ولا تحجبهُ عنه رِفْقَةٌ، بل يُؤدّي هذا الواجب دونما خوفٍ أو وَجَلٍ إلاَّ مِن الله سبحانه.

ولقد قال عليه الصلاة والسلام: «ما من قومٍ يُعمل فيهم بالمعاصي هم أعزُّ مِمنّ يعملُها، ثم لا يُغَيِّرون ذلك، إلاّ عمّهم الله بعقاب منه»(١).

وتأمّلْ - رحمك اللهُ - قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: «هم أعزُّ مِمّن يعملُها» ففيه لفتةٌ غاليةٌ إلى قضيَّةِ الاستطاعةِ في إنكار المنكر، وأنّهُ منوطٌ بها، لكنْ: على درجاتٍ، لا درجةٍ واحدةٍ.

والمسلمُ في تذكيره لإخوانه، وأمره لهم بالمعروف، ونهيه إيّاهم عن المنكر:

(١) انظر تخريجه في «تنبيه الحسيس» (ص٢٩) للذهبي - بتحقيقي، وراجع «الأربعين حديثاً في الدعوة والدعاة» (رقم:٢٢).

الحديث التاسع والثلاثون:

حَذِرٌ من الخلاف

عن جابر بن عبد الله قال:

قال رسولُ الله ﷺ:

«إنَّ الشيطانَ قد أَيِسَ أنْ يَعْبُدَه المُصلّون في جزيرةِ العَرَبِ، ولكنْ: في التَّحْريشِ بينَهم».

رواه مُسْلِم (٢٨١٢).

---

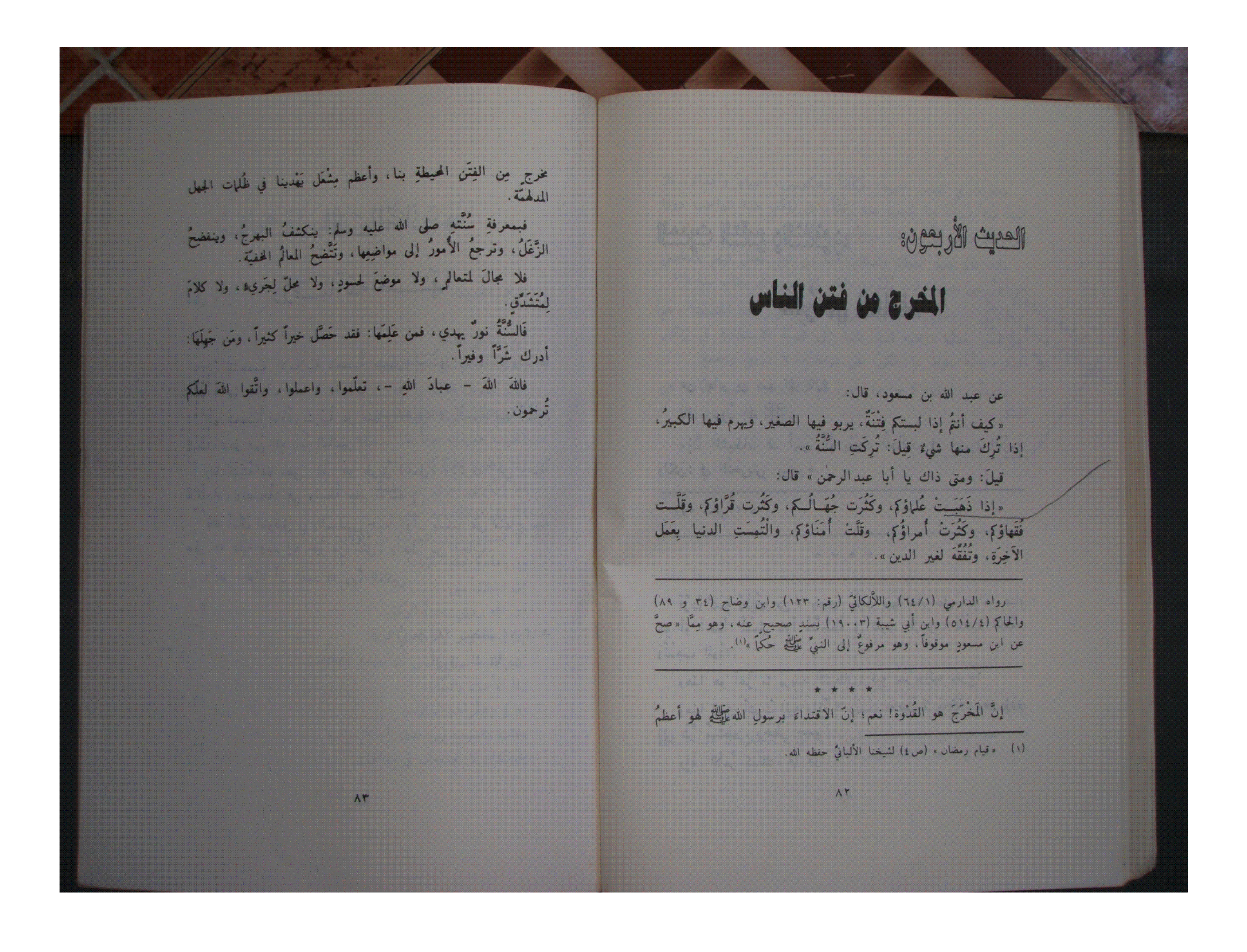
* * * *

فَرُبَّ كلمةٍ يُطلِقُها مَن لا يدري. يُفْلِتُ فيها لسانَه على عبدٍ من عبادِ اللهِ أو أخطأ: تُشْعِلُ ناراً مُتأجِّجَةً في قلوبِ الإخوةِ، فَتُفْسِدُ المَحبَّةَ، وَتُذْهِبُ المودَّةَ.

وهذا هو أعزُّ ما يُريده الشيطان، فَبِهِ يُسَرُّ، وإليه يفرحُ!

وهذا الذي أشرتُ إليه واقعٌ لا ريْبَ، حاصِلٌ لا مَحالةَ، وهو يؤدّي إلى شَرٍّ مُستطيرٍ، وخَطَرٍ جَسيمٍ!

وإذَ الأمرُ كذلك، فما هو:



الحديث الأربعون:

المخرج من فتن الناس

عن عبد الله بن مسعود، قال:

«كيف أنتُم إذا لبستكم فِتْنَةٌ، يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبيرُ، إذا تُرِكَ منها شيءٌ قِيلَ: تُرِكَتِ السُّنَّةُ».

قيلَ: ومتى ذاك يا أبا عبدالرحمٰن» قال:

«إذا ذَهَبَتْ عُلماؤكم، وكَثُرَت جُهَّالُكم، وكَثُرت قُرَّاؤكم، وقَلَّت فُقهاؤكم، وكَثُرَتْ أُمراؤُكم، وقَلَّتْ أُمَناؤكم، والْتُمِسَتِ الدنيا بِعَمَل الآخِرَةِ، وتُفُقِّهَ لغير الدين».

رواه الدارمي (٦٤/١) واللالكائيّ (رقم: ١٢٣) وابن وضاح (٣٤ و ٨٩) والحاكم (٥١٤/٤) وابن أبي شيبة (١٩٠٠٣) بسندٍ صحيحٍ عنه، وهو مِمَّا «صحَّ عن ابن مسعودٍ موقوفاً، وهو مرفوعٌ إلى النبيِّ ﷺ حُكماً»[1].

---

* * * *

إنَّ المَخْرَجَ هو القُدْوة! نعم؛ إنَّ الاقتداء برسولِ الله ﷺ هو أعظمُ

(١) «قيام رمضان» (ص٤) لشيخنا الألبانيّ حفظه الله.

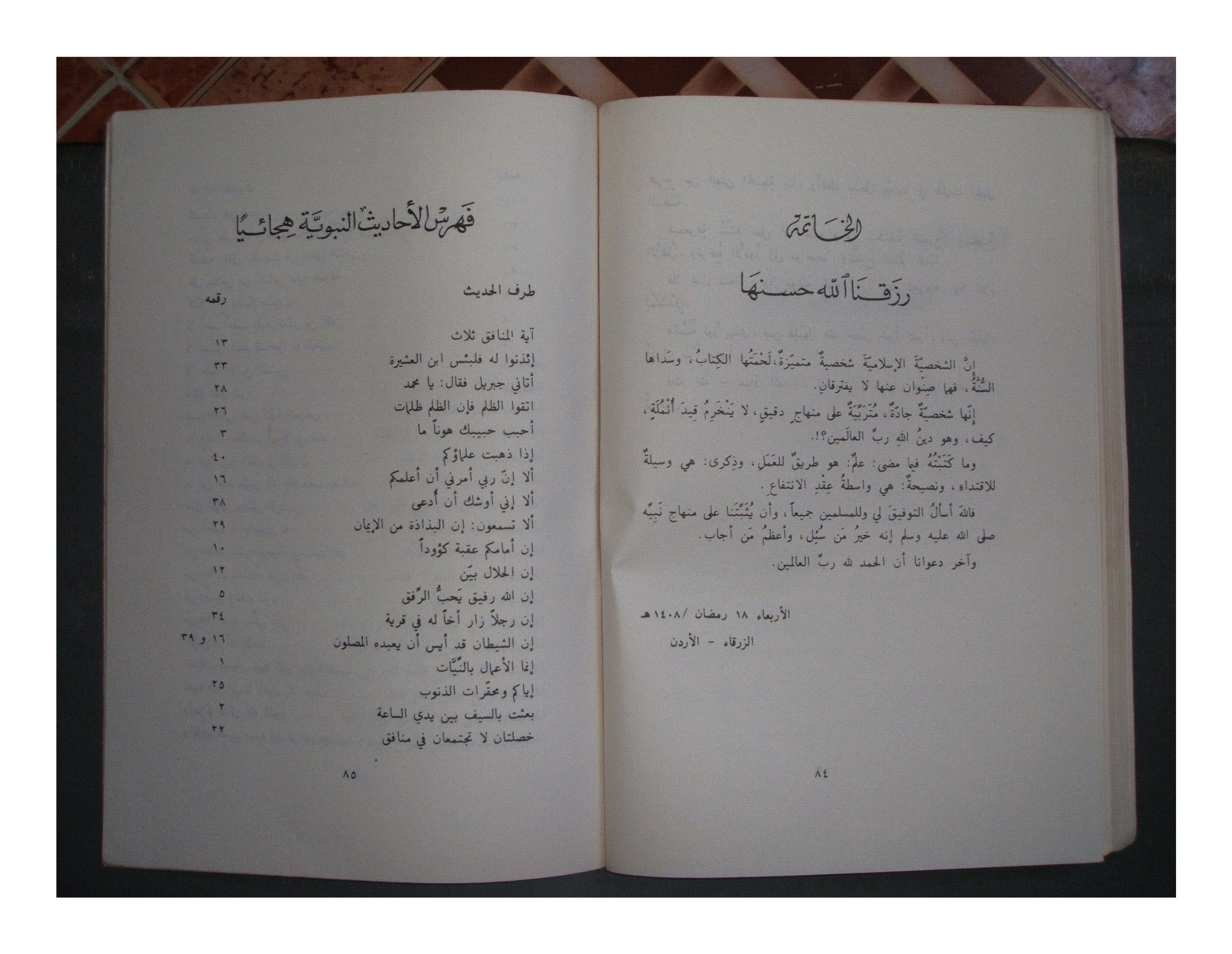
مخرجٍ مِن الفِتَنِ المحيطةِ بنا، وأعظم مِشْعَل يَهْدينا في ظُلُمات الجهل المدلهمَّة.

فبمعرفةِ سُنَّتِهِ صلى الله عليه وسلم: ينكشفُ البهرجُ، وينفضحُ الزَّغَلُ، وترجعُ الأُمورُ إلى مواضِعِها، وتَتَّضِحُ المعالمُ المخفيَّة.

فلا مجالَ لمتعالمٍ، ولا موضعَ لحسودٍ، ولا محلَّ لِجَرِيءٍ، ولا كلامَ لِمُتَشَدِّقٍ.

فَالسُّنَّةُ نورٌ يهدي، فمن عَلِمَها: فقد حَصَّل خيراً كثيراً، ومَن جَهِلَهَا: أدرك شرّاً وفيراً.

فاللهَ اللهَ - عبادَ اللهِ -، تعلّموا، واعملوا، واتَّقوا اللهَ لعلكم تُرحمون.



الخاتمة

رزقنا الله حسنها

إنَّ الشخصيَّةَ الإسلاميَّةَ شخصيةٌ متميِّزةٌ، لَحْمَتُها الكِتابُ، وسَداها السُّنَّةُ، فهما صِنْوان عنها لا يفترقانِ.

إنَّها شخصيةٌ جادَّةٌ، مُتَرَبِّيَةٌ على منهاجٍ دقيقٍ، لا يَنْخَرِمُ قِيدَ أُنْمُلَةٍ، كيف، وهو دينُ اللهِ ربِّ العالَمين؟!.

وما كَتَبْتُهُ فيما مضى: علمٌ: هو طريقٌ للعَمَلِ، وذِكرى: هي وسيلةٌ للاقتداء، ونصيحةٌ: هي واسطةُ عِقْدِ الانتفاعِ.

فاللهَ أسألُ التوفيقَ لي وللمسلمين جميعاً، وأن يُثَبِّتَنا على منهاج نَبِيِّه صلى الله عليه وسلم إنه خيرُ مَن سُئِل، وأعظمُ مَن أجاب.

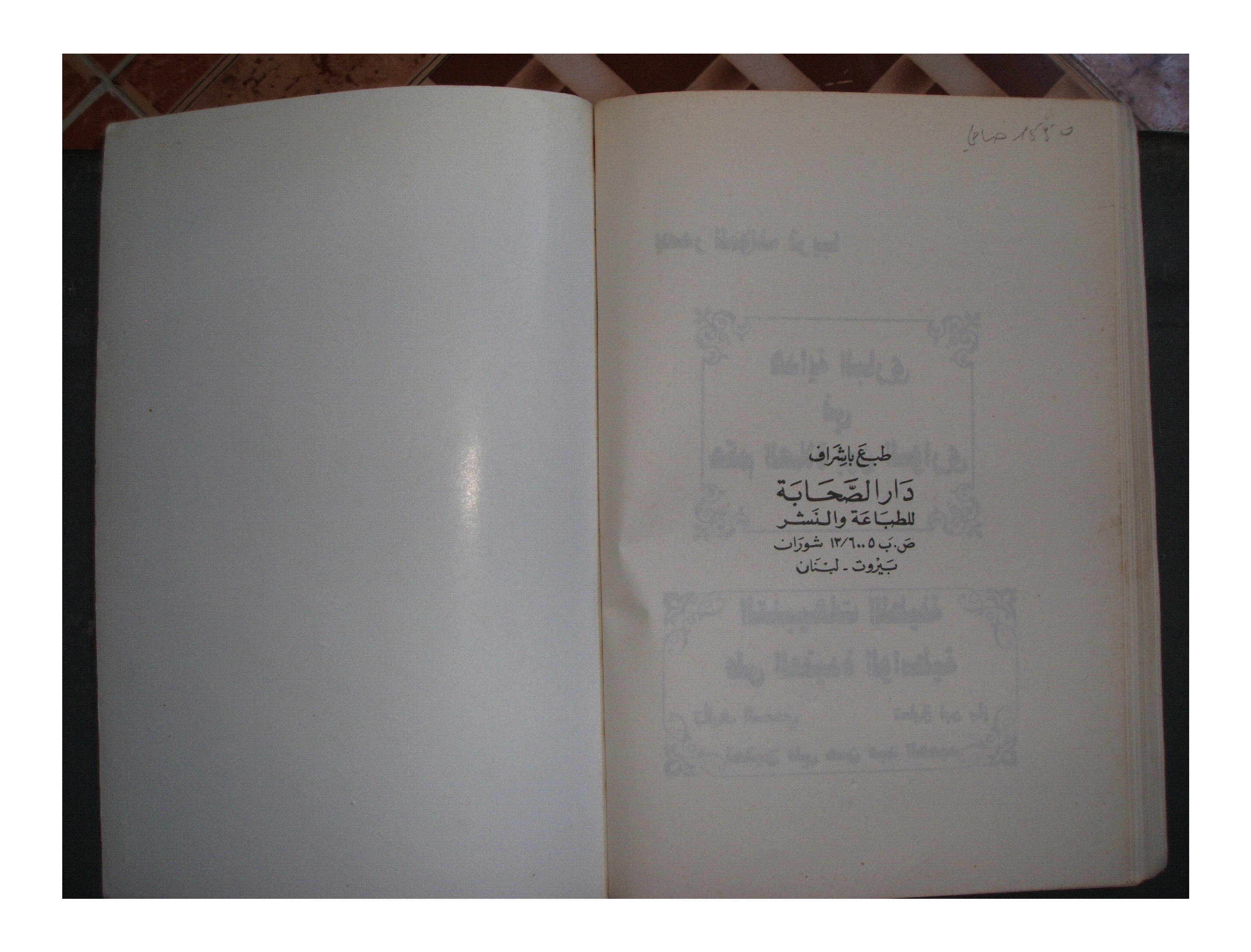
وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

الأربعاء ١٨ رمضان /١٤٠٨هـ

الزرقاء - الأردن

فهرس الأحاديث النبويَّة هِجائيًا

الفَهرس الإجمالي



طبع بإشراف
دار الصحابة
للطباعة والنشر
ص.ب ١٣/٦٠٠٥ شوران
بيروت - لبنان

الأربعون حديثا

في الشخصيّة الإسلاميّة

دار ابن القيم